محمود درويش كاتباً في زاوية الأدب

1961-1962

محمد زعل السلوم

المقدمة :

خلال بحثي في الأرشيف الفلسطيني، أثارت انتباهي كتابات وكتّاب جريدة الاتحاد التابعة للحزب الشيوعي "الإسرائيلي" أيام الحكم العسكري وهي صحيفة الوسط العربي من الشيوعيين في فلسطين 48، وخصوصاً بوجود كوكبة من الكتّاب الفلسطينيين مثل إميل حبيبي وسميح القاسم ومحمود درويش، وأثار انتباهي أكثر بدايات كتابة محمود درويش واعتقاله الأول ووصفه لفترة اعتقاله الأولى، وكتاباته الناقدة للحركة الشعرية في فلسطين 48، ورصده لحركات التحرر العالمي ونظرته الشيوعية آنذاك للثورات عبر العالم في كوبا وأنغولا والثورة الجزائرية، وتطورات الأدب العربي في بيروت واندثار أدب المهجر، وكان في البداية يكتب في زاوية الأدب كل جمعة لكن توقيعه باسمه يتقطع والواضح إما لاعتقالات، أو لأنه أثقل في قلمه على سلطات الاحتلال أو يبدو أنه اعتقل مراراً بين عامي 1961-1962.

هذا الوعي وأجواء العرب تلك الفترة وتوثيقها من خلال قلم محمود درويش ككاتب مميز، عكست أيضاً وضوح انقسامات العرب فقد دافع عن البياتي الشيوعي وكأن لسان حاله يدافع عن عبد الكريم قاسم الذي انقلب على الحكم الملكي في العراق. وغيرها من وجهات النظر الأولى والمرحلة الأولى من كتابات شاعر فلسطين الكبير. بالمقابل تختفي أصوات الناصريين في فلسطين 48 وأصوات البعثيين والإسلاميين، ويبدو رغم العلاقة المتأرجحة بين اسرائيل والسوفييت إلا أنها عكست حالة من الثبات كان لها منافعها على الشيوعيين الفلسطينيين.

والنقطة الهامة الأخرى أن محمود درويش عبر بمقالاته عن انتماءاته الثلاث، الأول كفلسطيني داخل أرض مغتصبة والثانية كعربي قومي يدافع عن الهوية العربية واللغة العربية وآدابها، والأممية ودعم حركات التحرر العالمي والترويج للدعاية السوفياتية آنذاك.

وقد أضناني البحث في صفحات الاتحاد الممتعة بالنهاية لأتمكن من تقديم ما يخص محمود درويش كاتباً في زاوية الأدب، وفي صريح العبارة أخذت بتوقيعه الصريح باسمه وإن شككت ببعض المقالات التي لا يظهر فيها بأنها تعود له، لذلك اعتمد توقيعه فحسب. وهو ما أقدمه للقارئ العربي هنا من مادة دسمة أرجو أن تنال إعجابه، وللباحثين في تاريخ هذا الشاعر العظيم والإفادة قدر الإمكان من ثقافته الغنية وقلمه الرفيع الثاقب وإن اختلفت شخصياً مع بعضها، إلا أنها تبقى شهاداته للتاريخ.

1-غزو الفضاء ... والأدب

زاوية الأدب بقلم محمود درويش

مقالة نشرها في ٧ تموز ١٩٦١ جريدة الاتحاد الفلسطينية

هذا النقاش قديم ...

فطالما سمعنا لخوف الادباء من تقدم العلم .. وطالما سمعنا النقاش الحاد الذي يدور بين رجال العلم من جهة .. ورجـال الادب من جهة أخرى حول المستقبل .. الذي يهدد الأدب بالاضمحلال والنهاية .. ولكن العلم ظل يسير ويسير - إلى أن أطلق الانسان الأول إلى الفضاء . وعاد سالما إلى الأرض .. وهنـا .. أصبح النقـاش جديداً ، واكثر جدية وخطورة ، وأحس بعض الادباء أنه لم تبق لهم مهمة إلا ان يرثوا أدبهم ، ويبكوا عليه بصمت .. حتى الذين كانوا يؤمنون أن العلم والادب قد يلتقيان ويكون كل منها متمماً للآخر ، يئسوا هذه المرة .. وكان من مظاهر هذه الازمـة، ازدحـام الطلاب في الجامعات على أبواب العلم، وانصرافهم عن أبواب الأدب والفن .

وتدخل في النقاش الطاحن أساتذة كمبردج واكسفورد وأصبح الموضوع حديث الصحف وكان الصدى قوياً ومؤيداً ومشجعاً للعلم من قبل القراء الذين لم يتحمسوا لندب وبكاء الادب . .

وهنا .. تأكد بعض الادباء من هزيمة أدبهم النهائية.

ولكن إذا دققنا وتروينا نرى أن القضية لم تنته وأن الهزيمة ليست هزيمة لمـاذا ؟

كتبت إحـدى الصحف : « أن إنسان الفضـاء الذي دربوه على التعامل مع أحدث الأجهزة والمخترعات، حمل معه شيئاً واحداً شخصياً من الارض، ذلـك هو أغنية : « احبك ايتها الحياة ».

والأغنيه هي تعبير وترجمان عواطف الانسان وأحلامه، إذن غاغارين لم يترك عواطفه واحلامه وراء ...

بل ان غاغارين رائد الفضاء الأول قد تحول الى أديب يكتب قصة حياته ، ويقول أن قصة أخرى، قصـة "رجل حقيقي" أسهمت في تطوره الفكري، وفي صلابته الفولاذية، وفي ارادته التي اقتحمت السماء .

ومن هنا، ما دام الانسان يحس ويشعر ويغني، فلاخوف على الأدب، فالأدب هو التعبير العاطفي لعادات وحياة الانسان، هذا من جهة . .

ومن جهة أخرى، لايزول الادب إلا بزوال اللغة، واللغـة لا نزول إلا بزوال الحياة، وهذا مستحيل!.

وقد يقال : « إن العلم سيحقق نزوع الإنسان إلى الحق والخير والجمال ..

هذا صحيح

ولكن الادب هو اللسان - الذي يعبر عن هذا النزوع.

وفي الواقع، إن هناك نقطة دقيقة حساسة، صحيح أن أدبا معيناً سيضمحل ويزول .. ولكن أي أدب ؟

سيزول أدب النفاق والتملق والأنانية المفرطة .. والسوداوية التي بلاهدف .

وسيصبح الادب للنـاس ... تعبيراً عن رغبتهم في الانطلاق والسلم والحرية، ومحاربة الفساد لان انتصارات العلم الرائعة تشعر الأدب المنكمش والغيبي بتفاهته وسخفه أمام حقائقها الباهرة ..

وقد أسأل سؤالا آخر : عم يتحدث الادب حين تتحقق رغبات الانسان، ولايبقى ظلم وفساد واستغلال ؟

ونحن سنقول انه سيغني لفرحة الانتصار. اذن القضية هي قضية الأدب الأفضل، ثم بالتـالي قضية انتقال الأدب من مرحلة إلى أخرى، قضية قلب وتغيير وتلون.

ولهذا لا نرى خطراً من تقدم العلوم، بل بالعكس، انتصار العلم هو انتصار للأدب، إذا تصادقا وتعاونا، لأن كليهما يعمل للانسان ولهذا، فأنا متفائل.

التفرغ للأدب .. والعمل-2

بقلم محمود درويش

نُشرت في جريدة الاتحاد في 14 تموز 1961

يشكو بعض الكتاب في العالم العربي، من أزمة خطيرة - على حد اعتبارهم ـ ولهذا فهم ينادون بالصمت عن الأدب - الأزمة هي، عدم التفرغ النهائي للأدب، أي ترك العمل، والتخصص للدراسة ـ والانزواء في « البرج العاجي، بعيداً عن الضوضاء "وصخب الحياة" بين أكداس الكتب، يقرؤون ويكتبون، وينتجون أدباً!! .

وأغرب ما في الأمر أن هؤلاء الكتاب لا يزالون لينين، ولم يثبتوا حتى الآن جدارتهم ورسوخ أقدامهم في أرض الأدب ولم يقدموا للمكتبة الأدبية عملاً ذا قيمة، يعطون تقديراً له هـذا الامتياز الكبير ..

وحجة هؤلاء أنهم لن يصبحوا عظاماً، مادام العمل يعيقهم عن أداء مهامهم الادبية، ويصرفهم من المطالعة والدرس.

لو راجعنا تاريخ الأدباء العباقرة لتحققنا من زيف هذا الادعاء.

فأكثر الأدباء الكبار كافحوا طويلاً، وكانت حياتهم صراعاً دائماً مستمراً مع الحياة، وفي أعمال بعيدة جداً عن الأدب، قبـل أن يتفرغوا للأدب.

خذ مثلا الأديب الروسي العملاق، غوركي، والأديب الكبير بر ناردشو، وكاتب القصة الأول موباسان. والكاتب الأمريكي الكبير، والذي توفي قبل أيام، أرنست همنجواي، كان يعمل صحفياً، يتعقب أخبار وتفاصيل الحروب، واستطاع من هنا أن يمارس تجربة غنية بالاحداث والمفاجآت والتوتر، واستطاع أن يلقح بها شخصيته الأدبية، ويَسِمُها بهذا الطابع الخاص.

هؤلاء الأدباء لم يتفرغوا في البداية للأدب، ومع هذا فقـ قدموا لشعبهم وللعالم آثاراً ضخمة خـالدة.

وفي الأدب العربي كاتب الرواية الأول، نجيب محفوظ، يعمل باستمرار في المكاتب الادارية بصمت، وبلا ضجيج، ويقدم روايات يفاخر بها الأدب العربي ويقدمها للعالم باعتزاز، مع العلم أنه لم يتخصص في البداية للادب.

ولهذا، فالعمل لا يقتل الموهبة الأدبية ـ بل ينميها بالتجارب الانسانية. –

في الصين يقولون : "حيث يوجد العمل، يوجد الشعر." .

ولو نظرنا إلى الأدب الصيني الجديد، لتبين لنا بوضوح أن العمل لا يحول دون الأدب والفن، بل بالعكس، يزوّد الفنان برصيد كبير من التجارب الإنسانية والحياتية، ويرسم الطريق للشعر الجديد، الذي يأخذ من الحياة ويعطيها.

فالكثير من الكتاب والشعراء الصينيين ينزلون الى العمل في المصانع والقرى والوحدات العسكرية، وليس هذا الانجـاه من قبل الكتاب مقتصراً على معرفة الحياة من مكان قريب، بل يشارك الجماهير في احساسها وتفكيرها وعملهـا الجسماني، فتوطـد القرابة والصداقة بين الأديب والعامل، وفي هـذه الحالة يتحول الأديب إلى زميل، وبهذا تزداد الصلة والتقارب الطبيعي بين مشاعر وأفكار العامل والفلاح وروح الأدب الواقعي الجديد، وبين الفنان الذي نتفاعل مع حياته، وتخصب انتاجه بثمرات رائعة وناضجة.

ولعل هـذه الاغنية الصينية تدلنا على معالم طريق الأدب الواقعي النابع من الحيـاة.

"تبحثون عن خير قصيدة

اذهبوا الى القرية

فهناك كل شيء يتغير

وكل شيء يستثير القلب الانساني ..

لقد حُطمت الأوهام القديمة ..

وستجدون أبطالاً في كل مكان..

وفي كل مكـان اساطير وشعراء ".

وهكذا يظهر فشل هذه الدعوة الانزوائية .. والتي تراقب الحياة من بعيد .. ومن فوق .. وتريد أن تختبر الحياة الانسانية عن طريق القراءة ... ولهذا فستظل هذه التجارب جافه .. يابسة .. ومصطنعة .. لأن الأديب الذي يعيش الحياة .. اكبر صدقاً .. وأبعد عملاً من الأديب الذي يدرسها ..

صحيح أن العمل يعيق قراءة الكتب .. ولكنه لا يسبق "قراءةـ" الحياة والانفعال معها.

وبعد .. فهذا الكلام لا يعني أنه ليس من واجب الحكومة تشجيع الأدباء .. وتهيئة الجو المريح لهم .. وإعطائهم الامكانيات الدافعه ..

ولكن على الأديب أولاً .. أن يثبت جدارته وشخصيتـه .. ويقدم أثراً أدبياً يستحق التشجيع واعطـاء الامتيازات ..

هذا نقاش في العالم العربي .. حول قضية التفرغ النهائي للأدب ، ولكن عندنا .. ليس هذا أوانه .. لأننا لا نزال في أول الطريق .

3-في الشعر الجديد

بقلم محمود درويش

جريدة الاتحاد 21 تموز 1961

الجدال حول هذا الشعر. لا يزال مستمراً. ولهذه الطريقة... شأن كل جديد – مؤيدون و معارضون.. وكان من الممكن أن نبتعد عن هذا الموضوع .. لو لم يكن في بلادنا أنصار كثيرون لهذه الطريقة...

ونحن مع تأكيدنا بأن هذا الشعر لا يزال يعاني تجربه ومعاناة، ولم تتبلور شخصيته بعد، إلا أننا لا نستطيع أن نتنبأ عن مستقبله، ولكن الذي نعتقده أن مدى نجاح هذا الشعر وخلوده يتوقف على مدى تصويره الفني والصادق، لمرافق الحياة الجديدة، وعلى طاقاته الشعورية والموسيقية الكامنة فيه.

وفي الوقت نفسه، لانستطيع أن نؤمن بأن هذا الشعر مجرد موضة جديدة، سرعان ما تزول بانتهاء الموسم.

المسألة ليست بسيطة وبدون قيمة إلى هذا الحد.

من الطبيعي أن يكون لظهورها أسباب حتمية خلقها التطور التاريخي، الذي أحدَث تغييراً وتلويناً كبيراً على كل شيء في حياتنا، فرواد هذه الطريق اكتشفوا أن العمود الشعري لا يسع التعبير الجديد عن أفكارهم وتجاربهم السريعة المتجددة. ما لم ينكسر هذا العمود الطويل ..

ولهذا لم يكن هذا الشكل هدفاً في ذاته أو غاية تقصد لذاتها، انما هو وسيلة للتعبير عن انفعالات واحساسات وصور جديدة.

هذه هي الحقيقة التي أدى عدم فهمها ووعيها الدقيق إلى خطر كبير، وأزمة كبيرة في الشعر العربي المعاصر، إن عدم فهمها هو الذي فتح الباب لدخول صفة (الموضة) لهذا الشعر، لماذا؟

كثيرون من الشعراء وخاصة الشباب الذين يستهويهم بطبيعة الحال كل جديد اخذوا يكتبون بهذه الطريقة بدون دوافع اضطرارية، بل لمجرد التجديد، وهنا يفقد هذا التجديد معناه الأول والأخير، فالتجديد لم يكن ولن يكون غاية تقصد لذاتها، بل وسيلة حتمية تفرضها الحياة ..

وفي الواقع، إن هذه ليست مأساة الشعراء الشباب أو الناشئين فحسب، ولكنها مأساة شعراء كبار أيضاً.

خذ مثلاً نزار قباني، إنه يكتب على الطريقتين وفي الأيام الأخيرة قرر الرجوع إلى الطريقة الأولى لأنه وعي بإدراكه و تجاربه أنه ليس بحاجة الى شعر التفعيلة مادام يستطيع التعبير بارتياح وصدق عن تجاربه بالطريقة الأولى، هذه الحقيقة لم يعترف بها نزار، ولكنه برر عودته إلى عدم الألفة والتقارب بين الجمهور والشعر الجديد، ولكنه الواقع كما بينت قبل قليـل، واليكم التوضيح :

كتب نزار قصائد على الطريقتين عن نفس الموضوع أو المضمون ، فلم يجيء بإحساس جديد، فقـد كتب قصيدتين "رسالة من سيدة حاقدة" على الطريقة الجديدة، و"رمـل ودخان" على الطريقة القديمة ... والقصيدنان تصوران نفسية امرأة خانها حبيبها، فأصيبت بأعز مالديها، كبريائها وقيمها، مع فارق صغير لا يؤثر في الجوهر، وهو أن إحدى القصائد تغفر للحبيب شكلياً، والأخرى لاتغفر بل تحقد!

إنن، مادامت التجربة - ذاتهـا والصورة نفسها، والروح هي هي، يستطيع الشاعر أن برسمها في أي شكل، لمـاذا يرسمها بالشكل الجديد ؟ ما دام هذا الشكل يتعرض لمسؤولية أكبر، ودقة وإحساس أكبر، لأن الموسيقى في الشعر القديم لا تضيع على أحد وتهز المشاعر وتشعر القاريء أنه لا يقرأ نثراً ..

وهنا، أصـل إلى المشكلة الأساسية، وهي الموسيقى..

نحن نعرف أن الشعر مزج عجيب عميق بين عناصر ثلاثة لا تنفصل عن بعضها..

العناصر هي الفكرة والعاطفة، والموسيقى ..

والفكرة النابعة من علاقة الانسان بالانسان في مفهوم الشعر الجديد لا تتجرد من العاطفة، بل تتحول إلى شعور، وهذا يعتمد على رسم صورة شعرية، والصورة تعتمد على بناء روابط بين الأشياء في الوجود وبين الذات الانسانية - وهذه الصورة التي هي مزيج من الفكرة والشعور، يمكن ان تتوفر في شعر التفعيلة ..

والموسيقى تتولد من ثلاثة روافد تؤلف بمجموعها موسيقى الشعر الرائعة.

الرافد الأول، ببدأ من الحرف فخفيف الحروف مع بعضها ويمتد إلى الكلمة ..

و الرافد الثاني " يتولد من الإيقاع المعين، الذي يأتي عن تحديد في الحركة والسكون في الكلمات والأبيات، فتوحدها وهو الوزن.

والرافد الثالث، يأتي من توافق جرس الكلمات الأخيرة في الأبيات أي القافية، والقافيـة هي الجسر الذي يمسك الأبيات، ويقيها من السقوط ..

ولكن علينا أن نعترف أنه من الصعب على الشاعر أن يشغل ذهنه، ويستنفذ طاقته باحثاً عن قوافي تتجاوز أحياناً الخمسين لأن حرارة التجرية و العاطفة تبرد في ساعات التفكير اللغوي في مجال الركض خلف كلمة شاءت أن تكون قافية!

هذا إلى جاب الروتين الموسيقي خاصة اذا طالت القصيدة.

ولهذا لابد من تسهيل، ولكن ليس على حساب الموسيقى، وحسب رأيي، أن تنويع القافية بشكل منظم بحيث ترتبط كل فكرة أو صورة معينة، هو أنجح طريقة، فبهذا لا يضيع القارئ ويظل مربوطاً بالأبيات السابقة، هذا بالإضافة إلى ظاهرة قد تكون بسيطة وهي أننا كنا ولا نزال شعب الشعر، وحفظ الشعر هواية نفسية خالدة عند هذا الشعب الذي لم تفقده المدنية فطرته الشعرية، وحين يفقد الشعر القافية يصعب حفظه.

ونعود الآن إلى أزمة الموسيقى في الشعر الجديد، أنني أوافق على أن الموسيقى تتوالد من الحروف والكلمات، ولكن هذا لا يعني الاغتناء عن الوزن، فهذا الإيقاع هو الطاقة الساحرة التي تكمن في الشعر، وفي شعر التفعيلة يتسنى فقط للشاعر العبقري التعويض عن هذا العنصر الأساسي خاصة والشعر أولاً غناء.

وبعد، فالتجديد ضرورة حتمية، تحتم خلق قوالب وأشكال جديدة ولكن الخطر كامن في كون هذه القوالب هدفاً وليس وسيلة، وقد تأكدنا من هذا بسبب سقوط وفشل مجموعات ضخمة من القصائد الجديدة. فالموشحات الأندلسية التي لاقت النجاح الكبيرفي أوانها، وبهرت الناس بجمالها، لم يكتب لها الخلود الذي أُريد لها، و نكرر أن نجاح هذا الشعر تقرره طاقته وتجربته وإخلاصه لمهنته.

4-ثورة زائفة

بقلم محمود درويش

الإتحاد 28 تموز 1961

صديقة الشاعر بأيامنا. تغيرت وظيفتها بالنسبة للشاعر أو تطورت .. كما تطور مفهوم الشعر العصري .. ولست هنا في مجال شرح قضايا المرأة وواجباتها .. فهذا أتركه لألف قلم يولد كل يوم ليسود صفحات بيضاء .. إنما الذي أريد أن أقوله هو أن المرأة أصبحت رفيقة للشاعر .. بالإضافة إلى وظيفتها الحسية والأنثوية .. كثيرون من الناس الذين يلبسون قناع الثورية .. لا يطيقون .. أو لا يعترفون بالغزل .. مرة أخرى أراني مضطراً للقول : إن المرأة انثى أولاً ..

هذه الحقيقة دعاها الكثير من الشعراء .. فغنوا مع المرأة للحب على مخدعها .. وغنوا للمشاعر الانسانية التي يولدها الحب. وغنوا للثورة ومزجوها بالحب .. وكأنها جزء لا يتجزأ منه .. ونظر الشاعر من زاوية قريبة وبسيطة إلى معنى الثورة والنضال.. فهو حين يتحدث إلى صديقته أو امرأته .. ويعمل من أجلها .. وحين يربط هذه الغاية بمشاعرها كلها التي تلتقي مع مشاعر كل انسان .. يكون قد ناضل .. وخدم الوطن .. مع أن السبب الأول القريب كان الحب ..

اسمع هذه القصة من كتاب (الرعب والجرأة) سأل القائد جنوده عن معنى الوطن. فقال أحدهم إنه الأرض التي ولد فيها - وقال آخر : إنه المكان الذي يعيش فيه .. وقال آخر : إنه الحكومة.

كل هذه الاجوبة كانت تعبيرات جاهزة لا تدخل الشعور. ولا تؤثر.

وشرح لهم قائلاً : إذا كنت تحب الحياة .. وتحب بيتك وتحب زوجتك .. حارب لكي تقهر العدو وتعود إليهم! .. ..

هكذا بجملة واحدة استطاع أن يؤثر فيهم وأن يدخل كلماته إلى قلوبهم. بدون استعارات وتعبيرات كبيرة وتفسيرات علمية لمعنى النضال والوطن ..

وسر كل هذا هو الحب .. لا يمكن للحيـاة أن تخلق قيماً جمالية .. أو أن تجعـل لنفسها طمعاً بدون حب .. إنه هـذا الخيط ساحر الذي يشد الأشياء الداخلية والخارجية بعضها ببعض.

ولذلك .. فالذي يثور على الحب ليتخصص بالثورة السياسية.. أو يثور على الحب كخطوة أولى في طريق الثورة. زائف الوسيلة والغاية ـ أو طائش - ..

قد يبدو هذا الكلام لا محل له .. وقد يبدو غريباً ..

ولكنها خواطر وتعليقات أثارتها قصيدة وصلتني قبـل أيام؟ ..

فرر الشاعر فيها أن يثور وبهجر الحب الذي يشل هذه الثورة حسب مفهومه للحب وثقته بالثورة ..

ثم .. لا ينسى الشاعر قبل انطلاقه أن يلتفت إلى الوراء ليلتقي بصاحبته ويسرد طيفها خيالات وذكريات ناعمة وقبـلات دافئة .. قبل أن يقف الحب على عتبة الطلاق غير الشرعي طبعاً ..

وأخيراً يقول لها : شبعت .. وعلي الآن أن أثور.

وهنا .. إذا كنت نزيها علي أن أعترف بزيف قصيدتي (اعترافات) كتبتها قبل عام .. وفيها اسير حسب مفهوم هذه الفلسفة غير الواعيه، وألعن الحب والجمال والسحر والدلال .. لانني أحببت النضال !!

هذا الشعر .. والذي يكتبه عدد غير قليل من الشعراء في العالم العربي أيضاً .. لا يعدو أن يكون شعارات جامدة لا تدخل الشعور والإحساس لا بسرعة ولا ببطء .. بل تظل خارجيه .. خارجية. .

لماذا ؟

أولاً .. ليس في هذا الشعر صدق وحقيقة .. فالحب كما بينت سابقا لا يقف في طريق الثورة .. بل يعطيها حركة وروح وعاطفـه .. ويجعلها اكثر عنفاً وعمقاً .. والتاريخ حفظ لنا مجموعة ضخمة من أسماء الشعراء الذين احبوا حتى العبادة .. وثاروا حتى النهاية .. وفي أعماق السجون كانوا يكتبون قصائد إلى حبيباتهم .. وفي الشعر المعاصر ناظم حكمت .. كتب أروع قصائده إلى زوجتـه حين كان في السجن .. فالحب في هذه الحالات يستحيل إلى حب انساني عميق وواسع ..

ثانياً .. ليس في هذه الثورة منطق وإخلاص .. فلا يمكن أن نفهم منها إلا أنها نتيجة معاكسة ومشاكسة لفشل في الحب .. أدى به إلى هذا النزق الذي دفعه إلى الإدعاء بالثورة .. ليضمد جرح كبرياته وقيمه المطعونة .. فلو أتيح لهذا الشاعر أن يعيش بوفاق مع حبيبته لما ثار .. بل ظل غارقاً في أحلامه التي لم تخنها .. ولهذا .. لا يعدو هذا الشعر كونه فوارق نزق مؤقته .. والشعر الذي يمزج الحب مع الثورة هو الشعر الذي يخدم الانسانية .. ويترك أثراً في الشعور ..

5-الأدباء ينادون شعبهم

بقلم محمود درويش

الإتحاد 4 آب 1961

الأدب الثوري، الذي يعكس حياة المجتمع البشري في صراعه مع القوى المعادية، من أجل تغيير أوضاع فاسدة، والذي هو نتاج تجارب و تفكير الأدباء الثوريين، يقـف اليوم في الصف الأول من المعركة. يقف مؤكداً أن الطاقة التي تحملها الكلمـة من أجل قلب نظم اجتماعية وسياسية معينة هي طاقة هائلة، لا تقف في طريقها قوة ..

الأدب الحي في أيامنا، لم يعد يستجدي على أبواب الحكام، كما كان قبل ألف سنة، إنما أصبح القوة الأولى التي تهيء للثورة في أذهان الشعب، إذن، القضاء على نظامٍ بالٍ عفن، ومن أجـل بناء مجتمع إشتراكي هو غاية الأدب والفن، وحيال هذا يحـاول أعداء الشعب بكل طريقة خنق الحرية، ولكن قانون الطبيعة الخالد، الذي يؤكد أن لكل فعل رد فعل، بجد له مكاناً ملائماً هنا ـ فبمقدار ما يزداد الضغط على الكلمة، تزداد الطاقة الثورية فيها، و بمقدار ما تتآخذ من الظلم تعطى النقمة، وهذا ما بينته لنا الحركات الثورية التي وصلت إلى انتصارها المحتم.

وفي بلادنا نواجـه معركة قاسية، وامتزاج حياتنا وتفكيرنا بالسياسة أصبح أكثر من امتزاج، أصبـح التحاماً، فالمشاكل السياسية في بلادنا هي التي تحدد مبهمات أدبنا

في أوضاعه الراهنة، وتفرض على الأدب السير في طريق القافلة الثوريـة، ليس من أجل بناء مجتمع اشتراكي الآن، بل من أجل تحقيق الحرية، وتخليصها من القيد الثقيل، ومن أجل حل المطالب الملحة التي يريدها شعبنا أولاً، ومن أجل القضاء على المآسي التي يعانيها شعبنا .

ولا يمكن لأديب، أن يجلس قرب الشرفة ليموت ببطء تحت القمر، ودماء خمسين شهيداً في كفر قاسم ترضع مليون قمر ثورة.

ولا يمكن الشاعر أن يغرق في أحلام كاذبة، وهو يعيش بلا أرض وتراب.

ولا يمكن له أن يُبعد عن السياسة، والسياسة القائمة تمنعه من التجول في بلاده، لأن حريته معلقة على سطور ورقة.

ولا يمكن أن ينسى أن دماء سالت في غزة.

ولا يمكن أن ينسى أن مليون لاجيء ينتظرون.

لا يمكن لأديب أن ينسى كل هذه الأمور في النصف الثاني من القرن العشرين ويغرق في مكتب صهيوني ليكتب أشيـاء بدعوها أدباً ..

فالصهيونية الوثيقـة الصلة بالاستعمار أسهمت مع الاستعمار والرجعية العربية في تشريد شعبنا وحلول مأساته.

إذن كيف نصادقها ونكتب تحت ظلالها أدباً ثورياً ؟

لا يمكن لهذه الثورية إلا أن تكون فارغة وخالية من كل جوهر وقيمة ..

وفي هذه الأيام، نواجه معركة نحن على موعد مع ضمائرنا وإخلاصنا لشعبنا يوم 15 آب، ونحن وأدبنا وثوريتنا في الامتحـان ...

ولهذا، سيصدر الادباء والمثقفون العرب الاحرار نداءهم التاريخي إلى أبناء شعبهم، الذين إذا لم يضعوا كل كلماتهم وغاياتها من أجل صيانة هذا الشعب ومن أجل الدفاع عن حقوقه، بقيت كلماتهم دمى بائسة بدون قيم، ولذلك لم يستطع هؤلاء الادباء أن يقفوا موقف المتفرج من هذه المعركة، فواجبهم تسليط الأضواء على مشاكل الشعب ومآسيه وعلى رأس هـذه القضايا، حق المليون، أو مأساة المليون، فبينوا في هذا النداء لشعبهم أن طريقه يلتقي مع الشيوعيين والجرح الواحد يجمعهم معهم، الشيوعيين الذين برهنوا خلال تجربة ثلاث عشرة سنة أنهم الدرع الوحي الواقي الذي يتحمل الضربات من أجل هذا الشعب وأكدوا أن مستقبل الكفاح يتطلب تقوية هذه القوة المخلصة.

إن هذا النداء أكثر من مجرد اعتراف بكفاح الشيوعيين، فقيمته تكمن في مشاركة الأدب وتجنيده في كل معارك الشعب وإيصال المد الثوري إلى كل مجال ليرقى

معه الأدب إلى أبعد مستوياته وانتصار هذه القوة ودعمها يفتح أمام الأدب باب الحرية ومن هناك ينطلق إلى آفاق رحبة.

6-خواطر في السجن

بقلم محمود درويش

الإتحاد 1 أيلول 1961

منذ أكثر من شهر، ونحن نلتقي هنا كل أسبوع، لنتحدث حديثاً قصيراً عن الأدب، وفجأة انقطعنا وافترقنا، أنت حيث أنت، وأنا في قاع السجن.

والآن .. وبعد أن فتحوا أمامي بوابة السجن الحديدية وقالوا لي : أنت حر ! جئت لأتابع حديثي معك يا صديقي القارىء .. جئت وفي رأسي وقلبي؟ خواطر وأحاسيس ملونة، وعلى شفتي يتفلسف سؤال : ماذا اكتب؟ ومـاذا أروي لك؟

الناس في كل بقاع العالم وفي كل زمان يختارون عادة ما يكتبون .. ولكن شاءت الدنيا أن يتغير كل شيء في بلادنا، حتى هذا السؤال .. فنحن لا نسأل ماذا نكتب؟

بل ماذا لا نكتب .. فكل صغيرة في بلادنا .. تلح وتصرخ .. ولم يتركوا في جسومنا مخرماً واحداً لا تتصعد منه الشكوى والألم .. فإذن عن أي شيء لا اكتب؟

أنا يا صديقي خارج من جامعة الكرامة والصمود .. من السجن. لأول مرة يشرفني السجن .. إنه حدث في تاريخ حياتي الصغير .. فلماذا لا أحدثك عن ألف خاطرة وخاطرة كانت تولد في رأسي؟

المسيحيون يعمدون اطفالهم في بركة ماء في الكنيسة .. وشعبي يعمد شبابه في السجون، وقبل أيام خرجت من هذا العماد المقدس .. فلماذا لا أحدثك عنه؟

السؤال الذي لم يخمد على شفتي .. هو لماذا أنا موجود هنا؟ الساعة الحادية عشرة في منتصف ليلة الاربعاء.. ولا أزال متربعاً على مصطبة الغرفة الضيقة النتنة الرائحة مع أربعين إنساناً آخرين .. الدقائق تتمرد وتتسمر في مكانها، وسؤالي يتمرد ويسمر ولا يتزحزح عن شفتي : لماذا أنا هنا؟ والصيف يحلب من جلدي عرقاً لا ينتهي.

وأذكر كيف استدعاني الضابط قبل ساعات من البيت، وسألني عن بعض القصائد التي أزعجته وأخذها من بعد أن قال، أنت محرّض ودفعني إلى سيارة مغلقة .. ووجدت نفسي في السجن ..

أنا محرض! وهل تعيبني هذه الصفة؟ وهل هناك أعز من أن منكون حرضين ضد حكم من هذا اللون .. نعم انا محرض .. فلينشفوا واحة ديمقراطيتهم من أوحال الاضطهاد والظلم السافر والتمييز الوقح والعهر .. ليكفوا عنا نكفّ عنهم!

كانت هذه التجربة الأولى من نوعها ..

كانت أول وسام شرف يقدم لي ..

كانت أول تجربة عملية، أشعرتني بخطورة وجدية المهمة التي يلقيها عليّ شعبي .. وأهمية الرسالة المقدسة التي أحملها مع رفاقي السائرين نحو الشمس.

وكانت أول شهادة كفاح ..

كان عليّ أن أعرف منذ اللحظة الأولى سبب وجودي هناك ..

وكان علي أن اتوقع هذا المصير منذ البداية، ولكني لم أتصور أني ساتعمد بهذه السرعة .. وأحمل الوسام مبكراً ..

والسؤال الذي أطلقته قبل أيام في مهرجاناتنا الكفاحية الكبيرة في إحدى قصائدي : لمن السجون؟ هذا السؤال وجد الطريق إلى الجواب عملياً. أدركت جدياً لمن السجون .. وعرفت معنى الموت من أجل الحرية والحياة ... كانت تسري في عروقي معاني إصرار الذين يريدون الانطلاق من القمقم.

في تلك الليالي لا أعرف من أي عـالم .. ومن أي طاقة تسرب إلي صوت ناظم حكمت وبابلو نيرودا .. الابواب مغلقة والشبابيك محكمة السد، لا مدخل فيها حتى لنور الشمس .. ولا منفذ للنسيم .. ولكن صوت هذين الشاعرين اللذين غنّيـا للشمس والحب والحياة والحرية كـان يملؤ في ويقول لي. تفـاءل : فالغد لنـا .. عندما كنت أقرأ أشعارهما أحس أحياناً أنهما يبالغان في التفاؤل والأمل ويسرفان في حب الشمس، ولم أدر أن التفاؤل طبيعة الحياة .. ولكني في أيام قليلة لا تتجاوز العشرة تعلمت ـ بدون مبالغه ـ أكثر مما علمني إياه ألف كتاب من النظريات والبحوث .. رأيت بقلبي وإحساسي الشمس تتململ من وراء ضباب التاريخ .. والليل يتسكع في طريق شمسنا، ما شأن هذا التركي وذاك التشيلي بي أنا العربي هنا؟ لماذا يملؤني صوتهما القادم من وراء الحدود والأغوار والأبعاد مغنياً من أعماق السجون .. الكلمه المؤمنة .. الكلمة الانسانية المضيئة لا تتجمد ولا (تتأقلم) ولا تحد .. إنها ملك كل الناس في كل مكان .. وعرفت معنى أن يؤمن الشاعر أو الانسان بالحياة ويخلص للكلمة. ولهذا دفعني الأمل للتطلع من ثقب الشباك الصغير إلى الكرمل الشامخ ككرامتنا، الكرمل الأخضر الباقي كـالتاريخ .. ولهذا كانت تشد إليه نظراتي باطمئنان وثبات وإصرار كنظرة أب إلى ابنه .. كنت أشعر أني أبوه ... أبو الكرمل .. وأبو السماء التي تغطبه .. لا أدري لماذا كنت أحس أني أملك كل شيء .. كل شيء في الحياة! ..

وكانت تعاود ذكريات الحب والأغنيات .. أن هذا بالضبط هو الأمل ... أن تنسى حاضرك الأسود تماماً، ولا تعود ترى إلا الغد، ولا تعبأ بما يتطفل على اقدامك في الطريق .. قال تشيخوف العظيم، إنك حين تسير في غـابة، لا تعبأ بالاشجار التي تضرب وجهك ما دمت تسير نحو نقطة نور..

وفي الأمسيات الرمادية عاودتني أطياف من البيت .. كنت أسمع صوت أختي الصغيرة تلثغ باسمي وهي جالسة بين احضان أمي التي (ستتعود اغترابي) أختي الصغيرة التي ستسمع لأول مرة كلمة سجن ولن تفهمه إلا أنه بيت العسكر الذي طارد أباها سنوات بين صخور وأشواك البرية حين كانوا يسمونه متسللاً؟ هذه الأشياء اكبر من عمر أختي الصغرى .. ولكنها ستفهمها حين تكبر ... اعتدت أن أحمل إليهـا هدية صغيرة أو حلوى كلما عدت الى البيت ..

وهي تنتظرني على العتبة، ولكن ماذا سأحمل لها بعد خروجي من السجن؟ استزعل مني وتبصق علي ببراءة لأني فارغ اليدين .. ولكنها أيضاً لن تفهم أني أسجن من أجلها .. من أجل غدها .. من أجل حياتها .. من أجل قطعة حلوى تمصمصها .. من أجل ثوب تفرح فيه .. ولكن في غد تكبر، وتفهم ...

وجد تي كانت تقول أيام زمان، السجن للرجال، وعمر جدتي اليوم أكثر من ثمانين عاماً، حيث كان الشعب يمشي على أربع تكريماً للملوك .. وحين كـانت سماء عينيه أقدام الملوك .. وحين كان يهترىء، عمره من الأساطير والخرافات ..

في ذلك الوقت كانوا يقولون : السجن للرجـال!

فماذا يقولون اليوم .. (ورفاقنا احتلوا الكواكب) .. والدنيا انقلبت على رؤوس المستعمرين في كل الدنيا .. والسماء انفتحت للعمال والفلاحين وطبطوف طاف حول الارض 17 مرة في 25 ساعه ..

وفي اسرائيل، في بلاد آبائنا وأجدادنا وأولادنا وأحفادنا .. لا نستطيع أن ندور في شارع من شوارع تل أبيب خطوة واحدة إلا بشقفة ورقة مرخصة. فكيف لا يكون السجن للرجال .. الذين يقاومون هذه الأنظمة التي تتأخر عن القافلة الانسانية ملايين الأميال إلى الوراء .. كيف لا نشمخ إذا دخلنا السجون لأننا ضد هذه السياسة المخزية؟ لنخرج مُفولذين .. أكثر إيماناً بتصميم الشمس على الشروق .. ولنكذب أوهامهم التي تحسب أنهم يلجمون كلماتنا فيخسئون ...

وبعد .. فحديث خواطري طويل .. أطـول من آلام شعبي .. والوقت قصير .. قصر عمر الظلم والليل في بلادي .. فشكراً لهم على أوسمة ونياشين الشرف التي زينوا بها صدري .. وشكراً للمائتين وعشرين ساعة التي انفقتها في ليل سجونهم، فكبرت مائتين وعشرين مرة .. وكبرت نقمتي مائتين وعشرين ضعفاُ ... وكبر إيماني بك وحبي لك يا شعبي الفقير مليون مرة .. وإلى اللقاء في رحلة الكفاح الطبيه الحياة.

7-مأساة الثقافة عندنا

بقلم محمود درويش

الإتحاد 8 أيلول 1961

حين أفكر في مستقبل الثقافة عندنا .. تصيبني لفحة من تأملٍ عميق ..

وحين أفكر في مستقبل أدبائنا الطـالعين .. مستقبلنـا .. أضطر للإحساس بالنقمة والألم ..

وحين أنظر إلى نتاج أدبائنا الناشئين ..

أتأكد من خطورة ظاهرة تطبع أكثر هذا الانتاج ..

الظاهرة هي حاجة الأدباء الملحة إلى رصيد ثقافي .. من أدب و تاريخ وعلم نفس وسياسة وفلسفة وغيرها .. لتمتد طاقتهم الأدبية بمعلومات عن العالم والفكر خلال رحلته في عصور التاريخ .. فالأديب في كل مجال يتعرض مرغماً للحياة الانسانية .. ولقضايا العالم المتطورة والمتغيرة .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى ... يتعرض لمشقة النفس واحساسها .. وللعاطفة ولشتى المشاعر الانسانية؟ وليتسنى له فهم كل هذه القضايا والمشاعر فهماً عميقاً واعياً .. لابد له من الثقافة بكل أشكالها .. فالفلسفة مثلاً تمنحه نظرة صادقة عميقة منطقية في كل شيء .. بالإضافة إلى محافظتها على تسلسل الفكرة وضبطها من التشويش والتجريد .. فتساعده على الدقة والتركيز في التفكير والتعبير على صعيد واحد ..

وعلم النفس يؤدي إلى دقة العناية بالتحليل النفسي لشخصيات الكاتب .. فتحليل نفسيات هؤلاء وأزمانهم النفسية من أهم عناصر العمل الفني في القصة وفي الأدب بشتى ألوانه ..

والسياسة أيضاً تجعل الأديب في علاقة مستمرة بالعالم الذي حوله .. وتربطه ربطاً وثيق الصلة بتطوراته وأزماته .. فيختـار له وسط هذه التناقضات والمشاكل نظرة خاصة ومبـدأ ثابتاً يؤمن به ويدافع عنه . ..

ولهذا .. فكل علم وكل موضوع يزيد في تنمية وعى وتجربة وعمل الشاعر أو الأديب .. وكل هذه العلوم والمواضيع نعطيها اسم الثقافة.

فهل حصل أدباؤنا المحليون على رصيد هـذا النبع الانساني المثمر؟ أم أنهم لا يزالون يأخذون من عواطفهم .. وعواطفهم فقط كل أعمالهم الأدبية؟ ثم، ماهو مستقبل هذا العمل العاطفي الصرف؟

أقول .. حين أجلس احياناً لأحرق ساعات تفكير في مستقبل هذا الأدب الذي تضافرت عليه جميع العراقيل لتقتله .. أصاب بأسف قد يظن بعض الناس أن هذا أمر طبيعي في كل بلاد تخضع لنظام فاسد يضبط الكلمة ويحدد آفاقها ..

في هذا الادعاء بعض من الصحة. ومع هذا فالمفروض في الأدباء أن يتخطوا الكبت والإرهـاب.

ولكن في بلادنا .. تبدأ الأزمة الأساسية في مكان آخر. فالأزمة هي أزمة ثقـافة .. ثقـافة نبحث عنهـا ولا نجدهـا لأننا في حصار ثقـافي قاتل .. ومنقطعون عن كل مورد ثقافي عربي ... ... نحس بالغربة الأدبية بالإضافة إلى الحصار السياسي، وهذا الحصار الملعون بدأ بإعطاء نتائجه البائسة.

خذ القصة ..

خذ النقـد ..

خذ الشعر ..

كله تعب، وتجارب بدائية تمتاز بضحالة الثقافة.

وبعد، فلماذا أسوق كل هذا الكلام ما دامت الأبواب مغلقة : تحجبـ عنّا تيار الثقافة في العالم العربي ..؟

أقول .. إن الأمر خطير، ولهذا فإنني أنبه وأحذر من المستقبل إذا ما استمرت هذه الحالة، إننا هنا، عرب هذه البلاد الذين نحس بحرارة جـائعة لتطورات الأدب العربي في الخارج، والذين نحس بخطورة الازمة، نطالب ونطالب ونطالب بفتح الأبواب بيننا وبين الأدب العربي الحديث في العالم العربي رغم النزاع السياسي ونصر على أن يحترم الفكر والادب، فللأدباء الذين وهبوا للانسانية وجندوا كل كلماتهم لخدمتها، وغنوا لها في قافلة التاريخ الانساني في شتى مراحلها أغنيات الحب والأمل والسلام، يجب أن يتزودوا زاداً ثقافياً ليستمروا في السير على طريق هذه المرحلة الشاقة ...

يا أدباء ! يا شعراء! يا رجال الفكر! يا ابناء الشعب العربي : طالبوا بهذا الطلب .. حتى تفتح الأبواب ..

8-زاوية الأدب

محررها محمود درويش

الإتحاد 15 أيلول 1961

"زاوية الأدب" ستقدم لكي يا أصدقائي القراء .. في فترات متقطعة نماذج من الأدب العربي الحديث إلى جانب الأدب الأجنبي، لأن الهدف من فتح هذه الزاويه هو إطلاع القراء على الآفاق الجديدة أمام الأدب والفكر.

هذا من ناحيه. ومن ناحية أخرى نقدم لكم آراءنا في المشاكل والحركات الأدبية والثقافية وخزاطرنا عمّا يواجهنا في رحلة الحياة من أسئلة وصور.

ونحن إذ نحاول تقديم كل إمكانياتنا لخدمة القضية الأدبية نرحب بكل ما يرسله القراء من خواطر وتعليقات وملاحظات ..

إن الحصار الأدبي الذي يلتف حول خناقنا يجعلنا نتلهف بكل حرارة إلى كل ما يصدر في العالم العربي من كتب ومجلات وما يحدث فيه من مناقشات ودراسات حول الأدب ..

ولهذا .. فسنحاول إشراك قرائنا مطالعتنا ما يتسرب إلينا من خلف الحدود ..

واليوم أنتم مدعوون الى لقاء مع العائدة من النبع الحالم. الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي .. التي تحمل درجة دكتوراة في الأدب من جامعة لندن .. والتي تجيد اللغات الإسبانية والإيطاليه والإنجليزية، ومن كل هذه الموارد الثقافية مع موهبتها

النظرية استطاعت أن تقدم نماذج رائعة من الشعر الحديث .. هذه النماذج يضمها كتابها الجديد (العودة من النبع الحالم).

اخترت لكم من الديوان مقاطع من قصيدة طويلة تتحدث عن اللاجئين.

مقاطع من قصيدة

بلا جـذور

راعباً ضجّ الرنين

ثم ذاك الصوت ملحاحاً حزين

أرسلي غوثك شرقاً

كل أعمامك أمسوا لاجئين"

فتنهدت ملياً، وتحرقت عليهم

ثم أرسلت لأعمامي ثياباً

كنت قد جمَّعتها للسائلين

وزبياباً كان عندي لم نكن نأكله

وقروشاً لزجة لا وهج فيها أو رنين

منذ ذاك اليوم لم أمنح قروشي سائلاً

فبنو عمي أمسوا لاجئين ..

وسألت البر والبحر عليهم

وشحوب الفجر والليل الحزين

فهدتني نجمة مطفأة العين إليهم

وبقايا العوسج المحمول من وديانهم

يوم خافوا الموت في أوطانهم

كي يعيشوا لاجئين

وأتيت الشيخ كي أروي من الشوق الحميم

كان يُغليني، يناغيني، يغني لي لما كنت طفلة

(بلدتي يا عالية .. وبراس تله

طفلتي يا غالية .. يا زرّ فلّه)

أنه علمني الشعر القديم

وأصول الدين (كم خلفته بأسان) والذكر الحكيم

كان يحميني إذا اغتاظ أبي

من جموحي .. من يمس الفل .. والشيخ مقيم

طفلة مع جدها لا ترتوي من حبه

تسند الرأس على صدر حليم

ويوليها حنايا قلبه

9-ثلاثة شعراء من أنغولا

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 22 أيلول 1961

لماذا اكتب عن انغولا؟. هذا البلد الإفريقي البائس. ألأن الشمس ترضع من جراح شهدائه كل صباح، والليل يتدفأ عليها كل مساء؟

ألأن أخباره تحوّل ورق الجرائد إلى أكفان؟

ألأن أطفاله قالوا لآبائهم : الوداع، وتيتموا؟

أم لأن أبناءه يموتون برصاص سلاح بلادنا؟

لا ..

صدقوني إني لا أكتب لهذه الأسباب. لا أكتب لأستدرّ دموعكم رحمـة عـلى 4،7 مليون إنسان يعذبهم الانسان الذي تخلى عن كل شيء من إنسانيته إلا هذا الاسم ..

ولكني أكتب لأعرفكم بشعراء هـذا البلـد، شعراء لم تحدثكم عنهم الصحف عندنا، ولا تعرفون عنهم شيئاً، ثلاثة شعراء هم من قادة الثورة هناك ..

اسم الاول فرياتو كروز . .

والثاني ماريو أندريد ..

والثالث اغسطينو نيتو ..

ومع أن الطريق إلى معرفة بلاد لا يبدأ غالباً من معرفة أدبهـا أولاً .. إلا أن هذا ما حدث للبـلاد البعيدة في معرفتها لأنغولا .. ففي سنة 1957 نشرت في الاتحاد السوفياني والصين وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا ترجمة لمجموعة القصائد لشعراء أنغوليين .. أعطت العالم الحقيقة عن واقع هـذا الشعب الصغير الذي يعيش تحت وطأة حكم الاستعمار منذ خمسة قرون، أما الشعراء فكانوا هؤلاء الثلاثة الذين قدمت أسماءهم.

ولنبدأ قصتهم من أولها ..

في سنة 1928، في بورتن امبيون، وفي مدينة صغيرة على شاطيء المحيط الأطلنطي، ولدت امرأة صياد إفريقية من أنغولا طفلاً، أُعطي اسماً برتغالياً بسبب رجال التبشير البرتغاليين هناك.. وتكلم اللغة البرتغالية، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره تحول إلى قائد من قادة الحركة الوطنية لتحرير أنغولا ..

كان هذا الشاب هو فرياتو كروز، أحـد الذين نظموا دوائر سرية في أواندا عاصمة أنغولا .. بالرغم من إرهاب ووحشية البوليس البرتغالي .. وتعلم مع رفاقه الطلاب الإفريقيين القراءة والكتابة في مدارس سرية..

وفي عام 1957، اضطر كروز للهرب من أنغولا، ولكن ألقي القبض عليه مع رفيقه ماريو أندريد عام 1959.

وفرياتو كروز لا يفارق أمه لحظه واحدة، فصورتها ـ كباقي الأمهات الإفريقيات .. ذات العيون المرتقبة، الطافحة بالقوة، والحزن، العيون التي تعكس شمس إفريقيا الصفراء التي تعيش في أشعـار الإفريقيين ـ لا تفـارق جينه، ويحدث أصدقاءه عنهـا ..

والشعراء الأنغوليون يكثرون من الأشعار عن أمهاتهم، فالأم تعيش في أكثر قصائدهم حزينة مرتقبة أبناءها الذين سيحققون السعادة لإفريقيا، ويخلصونها من دور اللعب الصغيرة التي يلعب بها المستعمرون ورجال التبشير هناك.

وماريو أندريد، الذي يعرفه اكثر العالم شاعراً. وشخصية شعبية معروفة. هو صديق فريانو كروز وفي سنّه، وقد عملا معاً في المدارس والمكتبات السرية..

وماريو أندريد هو أول شاعر كتب (الكمبوندا). والكمبوندا هي إحدى اللغات الإفريقية، وقصائده معروفة وواسعة الانتشار، وهو يستمد بعض قصائده من أساطير إفريقيا التي تدور حول قصص العذاب والضياع اللذين يعيشهما الإفريقي.

وإحدى هذه الأساطير، حكاية شعبية تروى بانفعالٍ هائل، تتحدث عن رجل وقع بين أيدي المستعمرين، وأرسل الى جزيرة سانت، حيث لا يوجد غير معسكر تجميع للإفريقيين، فالجزيرة هي إذن جزيرة الموت والعذاب والكدح. هذه حكاية مصير رجل واحد، وكم من ألف رجل وطفل سار على هذا الطريق وانتهى إلى هذا المصير الشرس.

بقي الآن الشاعر الثالث، وهو أصغر رفيقيه سناً. إلا أنّ عمره هذا يحمل فوق كتفه قصة حياة رجل حافلة بالعمل والعذاب.

في عام 1947 أرسله جماعة من الرجال البرتغاليين العاملين في أنغولا، أرسلوه ليدرس الطب في الخارج على نفقتهم، وعـاد اغستينو نيتو ـ وهذا هو اسمه ـ إلى بلاده طبيباً منح نفسه للمرضى الإفريقيين ..

وفجاة، كـانت أولى قصائده تفتح أبواب قلوب الإفريقيين، وتصبح راية لهم .. يقول في إحداها :

"إرادتي أصبحت قوة .. تُلهم أخوتي"..

وفي حين كانت تفتح قصائده قلوب الإفريقيين، كـانت تفتـح أمـامه السجن .. في عام 1952 ألقي عليه القبض للمرة الاولى، واعتقل ثانية سنة 1955. ولم يُفرج عنه إلا عام 1957. محروماً من «الحقوق السياسية». وكأنه كان يملك هذه الحقوق حقاً في يوم من الأيام، وكأن الأفريقيين تمتعوا بحقوق سياسية، وبعد عامين أفرج عنه تحت إلحاح مجموعة من كبار كتاب العالم ..

وفي سنة 1960 دخل السجن للمرة الثالثة، فقام أهل قريته التي ولد فيهـا ولجأوا إلى ديوان الكولونيل البرتغالي طالبين الإفراج عن شاعرهم الطبيب، وكانوا رجالاً وأطفـالاً ونساء، وكـان جواب السلطة أن أوفدت فرقتين من رجال الشرطه للرد على نداء الشعب، وكانت مذبحة قاسية، قدّم فيها الشعب الفقير ثلاثين قتيلاً. ومائتي جريح وهدمت القرية.

ولكن، في خريف 1960 أصبحت معركة إطلاق سراح أغستينو معركة عالمية، فأرسلت رسائل الاحتجاج والاستنكار من أكثر بلاد العالم مطالبة بالإفراج عن الشاعر السجين، فنقلته السلطات البرتغاليه سراً إلى سجن في إحدى جزر كب غيرد، حيث لا يزال الآن برفقة أمه الحزينة، وقصائده لا تزال تعيش في قلوب الافريقيين حالمة بالحرية، بالسلام والديمقراطية في أنغولا. وتنادي إخوته ليخلقوا عالماً يضع حداً لبكاء الأطفال، ولعرق ودموع العبيد. ويدعوهم للنضال من أجل الحرية مهما تكن النتيجة ..

بقلم محمود درويش

10-الأدب المهجري إلى أين ؟

بقلم محمود درويش

الإتحاد 29 أيلول 1961

في العالم العربي هذه الايام حديث أدبي مؤلم .. حديث حول مستقبل الأدب المهجري ..

وبعض الكتاب أو كثيرون منهم حين يتحدثون عن الأدب الهجري يبدون كأنهم يتحدثون عن شيء كان .. وانتهى.

هذا الواقع .. وإن كان مراً هو واقع الأدب العربي في المهجر.

فهذا الادب الذي شق طريقه بيديه في أرض الغربة، ومدّ جذوره العربية النازحة من بلاد الشرق في أرض أمريكا بشكل خاص. وأنبت شجرة لا يزال يروي الأدباء والمتأدبون أخبارها. فقد حقق نصراً كبيراً .. هو تخلصه الباهر من التقليدية التي كانت تشلّ أعمال الأدباء والشعراء في الوقت الذي بدأ فيه الأدب المهجري يعطى ثمار تجاربه العصامية.

ففي حين كان أدباء العرب في الشرق مثل المنفلوطى وكرد علي وشوقي وحافظ يعتمدون كل الاعتماد على فخامة اللغـة وضخامتها آخذين كل تجاربهم من تجارب السلف .. في حين كانوا لا يجرؤون على تجربة التجديد الجريئة .. كان أدباء المهجر يفتحون عيونهم على مواضيع وتجارب وقوالب وافكار جديدة. وكانوا يتلمسون طريقهم بجهد وصبر حتى استطاعوا أن يصنعوا لأدبهم شخصية .. وإن لم تكن مكتملة، إلا أنها مستقلة ولها ميزاتها الخاصة "الجديدة"، وكانت الحرية هي أهم ما أعطى أدباء المهجر من قوة دافعة للخلق والتجديـد حيث كان القيد في الشرق العربي يستعبد الكلمات والقلوب . . وعلى رأس القافلة المهاجرة وقف جبران ونعيمة والريحاني وغيرهم ..

وبعد أن تساقطت هذه النجوم .. الواحد بعد الآخر .. كان لا بد أن يقف الادب عند أزمة ..

ومن هنا .. يبدأ النقاش ..

ومن هنا .. يبدأ الخوف ..

ومن هنا .. يبدأ موضوع حديثنا ..

وكل ما قلناه قبلاً ليس إلا لفتة صغيرة لماضي أدب نخشى على مستقبله .. ونضع أيدينا على قلوبنا.

الأستاذ جورج صيدح، أحد قمم الأدب المهجري يائس من مستقبل هذا الأدب .. ولهذا قد نعاه.

والأستاذ رضوان إبراهيم كتب في جريدة «الحياة» اللبنانية مقالاً حول هذا الموضوع قال فيه : «إنّ العزاء ـ إن كان ثمة عزاءـ أن الأدب المهجري على حداثة مولده، قد

عمق جذوره في تربة الأدب الاب ... وأصبح شغل العرب المقيمين من دارسين ومتأثرين وقراء، ولا يزال جيل من الشعراء والكتاب في الجمهورية العربية، والسعودية والعراق والخليج ولبنان والأردن والشمال الإفريقي، يعيش تجربة الادب المهجري».

قد يكون لهذا العزاء مقومات .. ولكن الأمر الجوهري هو أن الأدب المهجري قد أسهم إسهاماً جدياً في الأدب العربي وأصبح من تراثه .. وتفاعله مع الأدب الحديث في العالم العربي سيكون له أثره.

ولذلك فالأمل في الموجة الجديدة التي لا تزال جاهدة لشق طريقها وسط التيار ومن غير المعقول أن تأخذ مكانها دفعة واحدة، وعلى هذا يتفق عدد من الأدباء.

وبعد كل هذا التخوف. ما هو مصير الأدب العربي في المهجر؟

على هذا السؤال أجاب الاستاذ الياس قنصل. وهو في المهجر منذ سبعة وثلاثين عاماً، تمرس بالتجارة والصحافة والقصة والشعر. ويعتقد الأستاذ قنصل أن تلاشي الأدب المهجري مرتبط بتلاشي الصحافة العربية في المهجر وهو الميدان الذي كان يجول بين حدوده، وبما أن الصحافه قد دخلت في هذا الطور، فإن الأدب سيدخله بلاشك.

ويرجع سبب ضعف الصحافة وخطر تلاشيها هناك إلى موت المهاجرين القدامي الذين كانوا يؤازرونها. أما ابناؤهم فقد انقطعت بينهم وبين المطالعة العربيه كل صلة. لأن البيئة التي يعيشون فيها قد دفعهم سيلها. بالإضافة إلى أن دفعات المهاجرة قد خفت بشكل بارز. وبانقطاع هذا السيل الذي يحمل (اللغة العربية والثقافة العربية والتراث العربي معه. انقطع كذلك وصول الأدباء الجدد الذين يحملون الراية من جديد .

وهكذا يمضي هذا الأدب إلى التلاشي شيئاً فشيئاً. ويحاول أن يجد عزاءه في ماضيه المضيء الذي كان إشراقة جديدة، وكان المنبر الذي ارتفع منه الصوت العربي معبراً عن شعور الأمة العربية في الوقت الذي كان فيه الاستعمار يكبل الكلمة في الشرق العربي. وفي الوقت الذي كانت فيه الحرية معلقه على مشانق الاستعمار، كـان أدباء المهجر يغنون لها ولانتصارهـا في قصائد .. يحفظها التاريخ.

ولكن عدم نمو هذا الأدب لن يضعف من أثره الكبير ومن إسهامه في الأدب العربي العام.

11-ملاحظات صغيرة

يكتبها محمود درويش

الإتحاد 6 تشرين الأول 1961

الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان .. بعد ما كتب قصيدته المعروفة (بيض الحمائم) بأيام كتب قصيدة أخرى، وجاء بهـا فرحاً إلى أخيه أحمد طوقان وصديق له، وكانت الأحلام تتراقص أمام عينيه بعد النجاح الحلو الذي لقيته قصيدته الأولى، فإذا بها تتمزق مع الأوراق المتناثرة في الغرفة .. لقد مزق أخوه القصيدة وقال له أكتب غيرها! وليس المهم أن تكتب كثيراً.



وأذكر أني قرأت قبل أشهر قليلة كلمة قصيرة جداً للناقد المصري رجاء النقاش، تحت عنوان (كيف يولد الأديب) ..

لا أذكر بالضبط ما قاله فيها، ولكنني أذكر أنه سأل هل على الأديب أن يبـدأ بنشر إنتاجه مبكراً. أي يطلع الناس على جميع مراحل تطوره وتجاربه ومحاولاته .. أم يضـع ما يكتبه في مكان ما، وبعد ان ينضج يبدأ بنشر إنتاجه الناضج؟

وأورد أمثالاً أذكر منها الأستاذ يحيى حقي في كتاب (قنديل أم هاشم).

هذا الكتاب قدمه يحيى حقي فجـأة إلى القراء، بدون مقدمات، ولم يكن القراء قد سمعوا بهذا الاسم، ووجدوا أنفسهم أمام مفاجأة أدبية عظيمة ..

وتساءل القراء، والأدباء، والنقاد : يحيى حقي؟ أبن كنت؟ هذه الظاهرة قليلة في أدبنا العربي، ولكنها بارزة في الادب الاجنبي .

وفي بلادنا يرافق القارىء كل المراحل التي تمر فيها تجارب أدبائنا وشعرائنا الشباب منذ المحاولات الأولى .. ولذلك فهو مضطر إلى أن يحكم على ما بين يديه .. وبديهي أن يكون حكمه قاسياً إذا لم يجده رائعاً .. وبديهي أن يؤثر هذا الحكم البدائي على مستقبل الأديب الناشىء أو الراغب في احتراف صنعة الأدب .. ومع اعترافنا بالإيجابية التي ترتدي هذا الحكم، لأنه يبعد المتطفلين على الأدب، إلا أنّ فيه سلبية لأنه قد يكون سابقاً لأوانه.

وكل هذا يقودنا إلى الموازنة بين أمرين . .

هل من المفيد، أن ينشر الأدب النـاشيء .. أو الراغب في احتراف مهنة الأدب، كل ما يكتب؟

أم عليه أن يحبس هذه المحاولات في مكان مظل. ثم يظهر إلى المسرح ناضجاً دفعة واحدة؟

لكلا الأمرين سلبية وإيجابية .. كما بينا قبل لحظة ..

فتشجيع الناشىء .. ولا شك .. أمر مفيد ودافع.

ولكن الحكم على قابليته وقدرته قبل الأوان، أمر مميت .. ولهذا، نفضل أن تكون هناك بعض القيود على نشر الأدب المبكر. أو أن يكون التجاوب مع تلك التجارب تجاوباً بدائياً ..

- لماذا كل هذا الكلام !

هذه الخواطر راودتني عندما جاءني رئيس التحرير بمجموعة كبيرة من القصائد التي تنهال كل أسبوع على مكتب الاتحاد وقال لي : عالجهـا!

و ناقشته .. وحاولت اعفائي من هذه المهمة الشاقة! فلم أنجح .. والآن .. لنبدأ.

والفكرة الأولى التي تحسها وأنت تقرأهذه المحاولات الشعرية إحساس وتجاوب هؤلاء الشباب مع شعبهم .. فهم في محاولاتهم هـذه لا يخرجون من دائرة الشعب، الدائرة التي تنمو في داخلها كل مشاكله وأزماته ومآسيه التي تتجدد أشكالها وصورها يوما بعد يوم.

ومن المثير- بالفعل ـ أن هذه الروافد الصغيرة التي تفجرها تجارب شعبنا القاسية وآلامه الخشنة تحاول أن تعرف الطريق إلى المصب، .. أقصد مصب المضمون ..

ولكن .. لا تخافوا من هذه الكلمة كثيراً ..فما زلتم في مطلع العمر وعلى العتبة الأولى، فلا تيأسوا.

ولا تفعلوا مثل ذلك الموسيقي النـاشيء الذي جاء إلى أحد الفنانين ليعزف له إحدى مقطوعاته التي على أنغامها وأذاب ساعات كثيرة من عمره .. وعندما انتهى من عزفه، قال له الفنان :

في هذه المقطوعة جديد .. ورائع. وعلى هذه الجمله استطاع الموسيقي الناشيء أن يطير إلى القمة ولكن للحظات أسطورية .. فالجملة لم تنته .. واستمر الفنان قائلاً، ولكن الجديد ليس رائعاً .. والرائع ليس جديداً. وكان جواب الناشيء .. الانتحار.

المسؤول عن انتحار هذا الشاب .. الفنان .. فهو الذي زاد المسافة بعداً بين الواقع والحلم الذي عاشه هذا الشاب .. وكلما ازدادت هـذه المسافة بعـداً؟ كانت الصدمة اعنف وأقسى.

فلو لم يقل له أن في المعزوفة جديداً ورائعاً لما ارتفع به إلى هذا الحد البعيد، الذي سقط منه بعد ذلك.

وبعد، سألتقي معكم أيها الشباب في الأسبوع القادم لأناقش معكم، وأعالج قصائدكم بهدوء ومودة .. وكل رجائي ألا تغضبوا .. وإلى اللقاء.

12-مارون عبود

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 13 تشرين الأول 1961

قبل أشهر، جاءت أخبار من لبنان تقول : مارون عبود على سرير المرض.

وبعدها بأيام جاءت أخبار أخرى تقول : بلغ مارون عبود الخامسة والسبعين من العمر.

ولم تنقطع الأخبار من لبنان، إذ جاء خبر آخر يقول : أقيمت حفلة تكريمية لمارون عبود بمناسبة بلوغه هذا السن.

لماذا؟

خل الأستاذ حسين مروه، يروي لك سبب هذه التكريم :

"أو لم يكن مارون عبود من بناة هذا البيت الثقافي هنـا، لكفاه أنه من بناة الثقافة اللبنانية العربية في هذا البلد، وأنـه من غارسي الكلمة البسيطة العميقة في هذه الأرض، فكيف به وهو الباني، هكذا، في الحالين؟

لهذا وذاك، نكرم مارون عبود".

طبعاً، ليس هذا كل ما قيل في أمسية التكريم التي أقيمت في دار جمعية العلاقات الثقافية بين لبنان والاتحاد السوفياني، حديث طويل قيل، كان في الواقع بداية لأسبوع احتفالي كبير تشترك فيه كل الأوساط الأدبية في لبنان.

وإلى هنا، تنتهي الأخبار التي وصلتني من لبنان .. عن مرض مارون عبود وعمره وأمسية تكريمه والاحتفال به، ومن حقي الآن أن أقدم لك ياصديقي شيئاً عن هذا الأديب الكبير الذي حمل كلمته الخضراء منذ نصف قرن، وراح يجوب بها سفوح الأرز، بغمسها بروائح قريته .. ويطعمها الحكايات والخرافات (المقلوعة) من القرية .. ويمسحها بألوان البساطة والطيبة في قلوب الفلاحين البسطاء، ويقدمها إلى التاريخ والأدب لوحة صادقة بسيطة عميقة وصورة باقية وتراثاً حياً من حياة قرى لبنـان، بكرومهـا وصدورها وينابيعها وأغنياتهـا وخبزها وبراءتهـا وبساطتها وشعرها وشهامتها، فمن هذه الألوان والصور، من حياة انسان يأكل من أرضه، ليموت فيها!

يسقيها دموعه وعرقه .. لتسقيه حياته.

ومن حياة الراعي والناطور وحارس الكروم، والمزراب، والسنديانة والشحرور والخوري والفريكه .. من كل هذه الينابيع تتحدر كلمة مارون عبود خضراء مترفة بالحياة والأمل والخير .. إذن هو أديب «الفلكلور» إذ لم يترك قشة واحدة من بيادر القرية الا اقتلع منها حرفاً أضافه إلى كلمته الواسعه..وهذا الارتباط النادر والحب العنيف الذي يربط أديبنا مع قريتـه يضطرنا أحياناً الى الدهشة والذهول والوقوف قليلاً .. فقلما راينـاء .. وبكلمة اصـدق .. لم نره عند أديب آخر في تاريخنا الادبي الطويل.

ثم .. ماذا؟

إن هذا جانب واحد من البناء الشامخ الذي أشاده مارون عبود بالكلمة وللكلمة، فمارون أكثر من واحد .. أكثر من شخصية .. إنه ناس .. موكب عالم.

فمارون عبود .. صحفي .. وناقد . . وقصاص .. وأديب، وعلى كل ركن من هذه الأركان ترتكز عمارة عالية لمجد الحرف والأدب. فهذا الصحفي ربى جيلاً كاملاً من الشباب بمقالاته المثقفة الهادفة.

والناقد .. قد ربى جيلاً من الأدباء والكتاب .. وكسر أصناما كثيرة قامت على أساس أجوف، أخذت الأدب اعتباطاً، وحينما نقول مارون عبود الناقد . . لا نستطيع إلا أن نقول «الجريء، فلم يتردد لحظة من مصارعة أصحاب الأسماء الفخمة الفارغة .. وقد تبنى في النقد هذه الخطة التي رسمها «أناتول فرانس»! «لم نكن في أيامنا ننتقد بنزاهة كما يجب، كانت تأخذنا في بعضهم هوادة، أحياناً، فكم غضضنا النظر، وكم غمرنا العالم والمتعالم بفيض من التقريظ والثناء.

إن واجب الناقد هو أن يعرف كيف يجد الخطأ، وأن ينتقد حيث يجب الانتقاد".

ومارون عبود القصاص، في وعيه لروح القرية اللبنانية، وآمـال وأشواق الشعب اللبناني، وصورها الثرية بالألوان والعمق والبساطة، وتصويره هذا الوعي في قصص لا ترتكز على الأساس والمفهوم العلميين للقصة، فلا يهمه كيف يفتح باب قصته ومن أين يدخل، وكيف يؤزم ويربط العقدة، ثم كيف يفكها .. كل هذا لا يعنيه في شيء، فقصصه أقرب ما تكون إلى الصور واللوحات والحكايات التي يعطيها كمـا يأخذها من الحياة .. العفو ـ لا تظن أنه يعطي ما لا يقبله الادب، لأنه لا يأخذ إلا ما يصلح.

ومارون الأديب الساخر في كل مجال، الذي جاب مناطق الأدب الوعرة والسهله .. وظل في سيره هادئاً هيناً بما ينثره على الطريق من نوادر وحكايات وملح هنـا وهناك .. بأسلوبه النادر المميز حيث لا يحد ولا ينغلق .. ولا تمسك له ذيول، فأدبـه مفتوح الأطراف تدخله من أين شئت .. بحر واسع يزخر بالثقافة والنكتة والقصة والشعر بهـدوء وسحر غريبين، إنك تقرأ له، ولا تستطيع أحياناً أن تجد إسماً تطلقه على ما بين يديك، قصة، مقالاً، صورة، حكـاية، نقداً .. إجمع كل هذه الأشياء والأسماء سيكون أمامك مارون عبود .. الأديب المميز بكل شيء بأدبه، بأسلوبه .. حتى بلغته .. في وسط الصراع القائم بين العامية والفصحى، والموقف المتعنت الذي يقفه أنصار هذه وتلك، استطاع أن يكتشف لغة ثالثة أصيلة، هي في الواقع حل وسط بين الفصحى والعامية، فهو ينزل بالفصحى إلى مكان معين، ويرتفع بالعامية إلى هذا المكان حيث تلتقيان بهدوء ومودة، وتكون حصيلة هذا اللقاء لغة للجميع . ..

وبعد .. فمارون عبود لم يقل للكلمة الوداع .. فهي لا تزال عنده حية تُرزق كما كانت من قبل نصف قرن .. وستكون.

13-بريد الشعر

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 20 تشرين الأول 1961

مها يختلف النقاد حول تفسير الشعر، وقواعد الشعر، لهم من الالتقاء عند نقطة واحدة هي الحد الفاصل او الفـارق بين الشعر وغيره من فنون القول.

قديماً قالت العرب : الشعر كلام موزون مقفّى. وحديثـاً أخذ أصحاب المدارس الحديثة والذين ماتوا حباً في تقليد الغرب بهاجمون هـذا التعريف (الخاطيء) للشعر، وفي هجومهم هذا كانوا ينسون حقيقة هامة، وهي أن الذين عرفوا الشعر بهذا التعريف لم يقفوا عند هذا الحـد، «فالشعر كلام موزون مقفّى، هو جزء من التعريف الكامل للشعر، فقد استمر العرب قائلين : هوالذي يصور العواطف والأحاسيس، هذا ما قاله العرب.

وهنا لا بد من الوقوف قليلاً، للنقاش :

بهذا حسب رأيي أن هذا التعريف الذي ولد قبل آلاف السنين لم يزل شاباً لم يؤثر عليه غبـار التاريخ. فمهما اختلفت الأغراض والمدارس الشعرية فلا بد له من قاعدة وقانون لا يتحرر منهما وهو الوزن.

وفي الوقت الذي ترفض فيه الشعر غير موزون، لا بد من الاعتراف بحقيقة أخرى : « ليس كل كلام موزون مقفى شعراً، فالمسؤول في هذه الحالة ليس الوزن وإنما الشاعر نفسه ..

قد يسأل قارىء، وهذا الشعر الحديث، أهو موزون مقفّى؟ أقول له : نعم! ولكن لم تعد هناك حاجة للتقيّد الزائد عن الطاقة لرصف خمسين أو سبعين قافية واحدة، فحاجات العصر تسمح لنـا بالتحرر قليلاً في مجال محدود. وعندما سئل طه حسين عن الشعر الحديث قال : «المهم أن أشعر بهذا الكلام أنه شعر!» هذا وقبل أن أنتهي من هذه المقدمات، ولكي أجيب على أسئلة كثيرة تخلقها المحاولات الشعرية الكثيرة، فيتّهم الشعر كله، نروي هذه الحكاية القصيرة :

الأديب المعروف عمر فاخوري، كان يكتب الشعر في مطلع حياته، ثم تحول إلى ناقد. وقد فسر الكاتب انقطاعه عن الشعر قائلاً : إن الشعر لا يحتمل أوساط الامور فإما أن يكون بالغاً مرتبة الكمال، وإما أن لا يكون البتة.

قد يكون هذا الاعتذار من باب التعليل الشخصي، ولكن فيه من الطرافة والصدق والإخلاص للشعر الشيء الكثير. فالتباعد والفرقة بين الشكل الجديد للشعر وبين الكثيرين من القراء كان من عوامله العدد الهائل من القصائد التي تولد كل يوم

وتفشل .. تاركة القراء يسألون ويتهمون . . لمـاذا مثـلاً عبـد الوهاب البياني يعجب به كل القراء أنصار القديم والحديث؟ إنّ الشعر الرائع يفرض نفسه على القارىء ويشعره أنه يقرأ شعراً كما يريد طه حسين.

هذه المقدمات أسوقها لأصل إلى موضوعي . . وهو الرد على قصائد الشباب الناشئين التي تصلنا دائماً . . وأعتقد أن ما قدمته عن الوزن كان ضرورياً لأن جميع هذه القصائد تجمعها صفة مشتركة وخطرة، وهي خلل الوزن . . فبعضها وقعت في أخطاء قليلة في نفس البحر، وبعضها راحت تخلق الأوزان التي لم يستعملها العرب لأنها لم تتفق في الطبع، كما قال ابن خلدون !!

في عدد من هذه القصائد وزن قد يكون جديداً لولا أن كل بيت يختلف عن البيت الآخر، ولهذا لم يكن هذا ابتكاراً بالطبع وإنما تشويشاً وعجزاً . . والآن لنبدأ جولتنا القصيرة معهم واحداً واحداً ..

فجر شعبي : قصيدة كتبها هايل حسين من المغـار بمناسبة النجاح الكبير للحزب الشيوعي الإسرائيلي في الانتخابات الاخيرة ويهديها إلى كل حرّ كريم، يقول فيها أبياتاً طيبة منها :

رفرف الحب على أيامنـا   يتغذى على بلاد البسمات

من دمانا يتغذى فجرنا   من عيوني تتغذى القبلات

فرد الفجر على أغصـانه   فوق هاتيك الغصون الباسقات

دربنـا للنـور سـائرة   سنبدد ليلنا، والظلمـات

أشرق الفجر على شباكنا   وتدلى من عيون حالمات..

وكل القصيدة تسير في هذا المجرى الهادىء الناعم في صورة غناء . . ولكنها كلام عادي لا يميزه إلا الوزن . .

الشعر يا أخ هايل ليس وزناً فحسب، ولكنّه أيضاً صورة تضمنها أفكاراً وملامح شخصية وعاطفة نابضة كل الوقت..

هذا أولاً. ثم، إنك وقعت في أخطاء لغوية وعروضية، مثلاً في البيت الرابع، لماذا جزمت (سنبدد) وصدر البيت المذكور فيه خلل في الوزن.. عند (سائرة) ولكنها أخطاء قليلة ستتغلب عليها بالتجربة والممارسة والمطالعة الكثيرة.. اقرأ! اقرأ شعراً.

14-بريد الشعر

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 27 تشرين الأول 1961

(البقية من عدد الجمعة الماضي)

إلى أخي الجزائري : هذه قصيده ثانية كتبها هـايل حسين مهداة إلى جزائري . . يقول فيها :

يا أخي العربي، في أرض الجزائر!

يا لهيباً فوق ضوضـاء المجازر ..

يا شعاعاً ووميض المدفع الهدار في أرض البشائر

يا أخي العربي، في أرض الجهاد تحيتي

لأخي الحبيب على مشارف ربوة

لأخي .. لأهل النار في حممٍ، وجبهة ثورة

الكروم التين والزيتون .. والعنب

الحقول في ربى وهران .. أرض المغرب

البساتين على كتف الغدير بلا تراب

وشيـاه مات صاحبها، على كتف الشباب

النجيمات على كتف السماء كدموع أرملة، يحز بها العذاب،

الشروق مات في كنف الليالي والدماء

ثم يخاطب فرنسا :

و يميناً يا فرنسا!

يدم الثوار في أرض الجزائر

باسم ثوار على أوراس .. والأوراس ثائر

الجميلات قرابين الجزائر

إن تنالي قيد باع ..

يا فرنسا !

والقصيدة طويلة تسير على هذا المنوال .. والحق يقال إن : هذا الكلام شعراً، ولكنه شعر شـارد بين أدواته وبين مضمونه : فتارة ينجح الوزن على حساب الفكرة .. وتنجح الفكرة على حساب الوزن . أنه يحاول أن يمسك بأداة فتفلت منه الأخرى ثم ينتبه إلى أن الصورة هي أجمل ما في الشعر، فيحاول رسم صور تنجح أحياناً وأحياناً كثيرة تظل مفككة مشوهة ..

باختصار أقول، هذا الكلام فيه شعر، ولكنه لم يتبلور بعد .. ويحتـاج إلى الكثير من الممارسة الدائبة .. ليتغلب على الشحم الكثير الذي يغطي الشعر، وعلى التكرار في التعبير والمعنى .. وإلى الأمـام .

م . ج . ف (أم الفحم)

جمع أبياتاً من قصائد معروفة لشعرائنا الكبار في قصيدة أعتبرها من نظمه ووضع لها عنواناً، (شهداء الوطن والحريـة)، لهذا الصديق نقول : دعك من الشعر وأصحابه .. كيف تستطيع أن تبني مجداً على أبيـات ليست لك؟ وكيف نستطيع أن تخدع القراء بأن هذه الابيات من صنع عاطفتك وخيالك.

يـا ويحهم نصبوا من منـاراً دم   توحي إلى جيـل الغـد البغضاء

ما ضرّ لو جعلوا العلاقة في غـد   بين الشعوب مودة وإخـاء

جرح يصيح على المـدى، وضحية   تتلمس الحربة الحمراء .

وف . ع . م [كفر قرع]

يكتب رثاء للضحايا الخمسة .. فيه عاطفة ومشاركة بالحزن والألم .. وتفاؤل في النهاية .. ولكن القصيدة مفككة الوزن .. واهية التركيب، حاول مرة أخرى! وإلى اللقاء.

بقيت أمامي قصيدتان قادمتان من الناصرة ..

صاحبهما الأخ اسبير عبود، طالب في المدرسة الثانوية..

عنوان القصيدة الأولى، (ابن أمي) والثانية، (بني شعبي).

في القصيدتين تصميم على الكفاح وإيمان بانتصار الحيـاة .. وعاطفة وانسانية..

ولكن كل هذا لا يكفي..

لقد تحررت القصيدتان من الوزن تماماً .. ووقعت أخطاء لغويـة بحيث لم يبق عندها طريق إلى، «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» كما يقولون ... انصح الأخ اسبير أن يقرأ ويجرّب .. وإلى اللقـاء ..

وبعد هذا اللقاء القصير معكم يا أصدقائي الشباب .. أرجو الا أكون قد أغضبت أحداً منكم ... وإلى الأمـام.

15-رسالة حب

من مي .. إلى جبران

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 3 تشرين الثاني 1961

رحلتنا في حكاية مي زيادة وحياتها الأدبية، والذاتية، لا تسعها هذه السطور القصيرة ..

فلهذه الرحلة أبعاد مختلفة كثيرة ..

فمي .. كاتبة الشرق العربي الأولى، بلا منازع .. ومن باب هذه الحقيقة الصادقة تنفتح أمامنا أبعاد واسعة تتطلب بحثاً واسعاً في أدبها ..

وميّ .. إحدى الشرقيات الجريئات إلى حد محدود .. النادرات اللائي حملن لواء الكفاح عن طريق القلم لتحرير المرأة الشرقية من أكداس الظلام العتيق!

وميّ .. أول من أنشأت في الشرق العربي أول صالون فكري التقى فيه كبارالأدباء والشعراء ليتركوا لنا وللتاريخ تراثاً أدبياً انسانياً .. وقد تبين فيها بعد أثر هـذا الالتقاء

في أدب طه حسين وعباس العقاد وصادق الرافعي .. واسماعيل صبري .. وجبران خليل جبران، الذي سيطول لقاؤنا معه بعد قليل.

ونترك هذا كله! وندخل إلى قلب مي .. إلى حياتها الخاصة .. إلى مأساتها التي تبدأ مع جبران. وتنتهي مع جبران أديبنا الكبير.

كل من قرأ شيئاً عن حياة مي، وعن صالونها .. يلاحظ بدون شك تهافت الأدباء على باب قلب مي، ويسمع أنين وحنين الكثير من الأشعار والمقالات على عتبة هذا الباب.

اسماعيل صبري، كتب قصائد تموت حنيناً!

ومصطفى الرافعي ؟ كتب كتاباً كاملاً يقال عنه (أوراق الورد)، وغيرهما كثير .. « وفي غمرة صدودها العام من الناس كتبت إلى طه حسين. بأن ليس بينها وبين غيرها من الناس اتصـال، فإن كانت لك كتب أقرأهـا فأرسلها إلي. وأما شخصك فلا أراه ولايراني :

واحتار هؤلاء طويلاً، ولم يعرفوا « لمن هواها، ولكن التاريخ فيما بعد أكد لنا بالوثائق أن حُبّ مي كان لجبران خليل جبران .. وحفظ لنا بعض الرسائل الرائعة التي تبادلها هذان الركنان في عمارة أدبنا ... ومن خلال كلمات رسائل مي يستطيع ناقد الأدب المعاصر أن يقف على حقيقة نفسيتها بوضوح مشمس. الحرمان هو الخيط الذي يمسك كلمات ميّ ويكمن خلفهـا. ويكوّن السر في مأساتها .. ويشكل نقطة البداية في تحليل أدبها الذي يعكس حياتها بصدق. الجرمان من الزواج .. والحرمان من الأمومة .. وتستطيع أن تسمع صراخ هذين الحرمانين في الكثير من مقالات مي .. وما قالته (المرأة أم قبل أن تكون حسناء). وبشكل أوضح في مقالها المعروف (بكاء طفل) الذي بصور بحرارة الحنان الساخن في نفسيتها.

يقول مارون عبود ـ ابتدأت في حبها حيث ينتهي الناس، فلم تتحول غريزنها الجنسية إلى أسمى من الهوى : إلى حبّ الجمال والشعر والموسيقى، ولو أحبت في فجر طلعتها الأدبية لظلت أمامها رقعة الأمل واسمه.

وبعد .. إقرأ هذه المقاطع التي اخترتها لك من إحدى رسائلها المؤثرة إلى حبيبها جبران الذي كانت تسميه (مصطفى) .. إقراها للمتعة والفائدة،

« ما أحلى رسالتك في قلبي يا مصطفى، ما أحلى كلامك بين تافه الكلام وركيكه! إن ألفاظك وسطورك جدول نور وندى وتشمّع وحرارة ولطافة وإنشاء. ومع ذلك فقل "ما أخبرتني به عنك. لم تقل لي شيئاً عما يشغلك الآن من كتابة أو تصوير أو هجس، ولا نصف خبر عن الوادي.

جبران، كتبت كل هذه الصفحات ضاحكة لأتحايد قول أنك محبوبي. لأتحايد كلمة الحب. إن الذين لا يتاجرون بمظاهر الحب ودعواه في السهرات والمراقص

والاجتماعات ينمو الحب في أعماقهم قوة دينامية رهيبه. قد يغبطون الذين بوزعون عواطفهم في اللألاء السطحي لأنهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر. ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون أن يتمنوها لنفوسهم. ويفضلون وحدتهم، ويفضلون السكوت. ويفضلون تضليل قلوبهم من ودائعها والتلهي بما لا علاقة له بالقلب والعاطفة، يفضلون أي غربة وأي شقاء، على الاكتفاء القطرات الشحيحة.

ما معنى هذا الذي أكتبه؟ إني لا أعرف ماذا أعني به. إنك محبوبي، وإني أخاف الحب. إني أنتظر من الحب كثيراً فأخاف أن لا يأتيني بكل ما انتظر. أقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير .. ولكن القليل في الحب لا يرضيني؛ الجفاف والقحط واللاشيء خيرٌ من النزر اليسير؛ كيف أجسر على الإفضاء إليك بهذا وكيف أفرط فيه! لا أدري فيه.

الحمد لله أني اكتبه على الورق ولا أتلفظ به. لانك لو كنت حاضراً بالجسد لهربت خجلاً بعد هذا الكلام، ولاختفيت زمناً طويلاً فـما أدعك تراني إلا بعد أن ننسى. حتى الكتابة ألوم نفسي عليها أحياناً لأني بها حرة كل هذه الحرية؛ أتذكر قول القدماء من الشرقيين، أنه خير للبنت أن لا تقرأ ولا تكتب؟ ها قد صح علي ارتيابهم وصدق فيّ " سوء ظنهم.

غابت الشمس وراء الأفق، ومن خلال السحب العجيبة الأشكال والألوان سمت نجمة لامعة، نجمة واحدة هي الزهرة، آلهة الحب، أترى يسكنها، كأرضنا بشر يحبون ويتوقون ؟ ربما وجد فيها من هي مثلي، لها واحد جبران، حلو بعيد بعيد، وهو القريب القريب، تكتب إليه الآن والشفق علا الفضاء، وتعلم أن الظـلام يخلق الشفق. وأن النور يتبع الظـلام. وأن الليل سيخلق النهار، والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة، قبل أن ترى الذي تحبه، فتتسرب إليها كل وحشة الشفق وكل وحشة الليل فتلقي بالقلم جـانباً لتحتمي من الوحشة في اسم واحد، جبران!"

التوقيع ماري (ميّ)

16-والمعركة الأخرى ...

(امرأة عمرها 106 سنوات تعلمت القراءة والكتابة)

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 10 تشرين الثاني 1961

في الطريق إلى الاستقلال والسيادة، التي تسير فيها الشعوب التي ترتفع من قبوها، حيث كانت محدودبة الظهر، من ثقل الضغط الاستعماري، مجرّحة الزنود من كبس القيود، تمتد قافلة الثورة حتى تلتقى بفجرها الموعود ..

في هذا الطريق، تقف محطات كثيرة .. والمحطة التي وقف عندها قطار الثورة في (كوبا) ليست المحطة الاخيرة، فبعدهـا محطات أخرى ..

إن كوبا بقيادة فارسها الكبير كاسترو، قد استطاعت أن تحصل على سيادتها واستقلالها السياسي، ووقفت على الصعيد الدولي دولة معززة محفوفة بإعجاب شعوب العالم الحرة وأصبحت مثلاً رائعاً للشعوب التي ستتحرر قريباً .. ودقت أكبر وأعظم (خازوق) للاستعمار في قلبه.

ولكن الاستقلال السياسي ليس آخر محطة في طريق الثورة. فبعده يأتي دور الاستقلال الاقتصادي .. وبعده تأتي معركة أخرى .. هي موضوع حديثنا اليوم، معركة تتصل بالطبع بموضوع هذه الزاوية الصغيرة ...

تبدأ المعركة مع مخلفات الاستعمار، وأكبرها الجهل والأمية .. اللذين مدهما جسراً على أجساد الشعوب المرهقة يعبر عليه إلى امتصاص خيراتهـا ..

وفي كوبا، يدخـل كاسترو هذه المعركة ليقضي على آخر رواسب الاستعمار الراحل أو المطرود! ويعمل مع شعب ليعطي الكلمة لكل مواطن ..

وقبل أسابيع جاءت من كوبا نشرة فقيرة باللغة الانكليزية تحمل هذه الحقائق :

الغاية منصرفة اليوم إلى تسجيل مليون أمي لتعليمهم القراءة والكتابة، ولا يعرف عدد الأميين في كوبا بالضبط، وقـد نادت الحكومة الكوبية الأميين لتسجيل اسمائهم، ويقول النداء أن عدداً من الأميين يشعرون بالخجل لتسجيل أسمائهم، وعلى هؤلاء الآن، وبعد أن تحررت كوبا، أن يتحرروا من الخوف من الخجل! ..

وإلى تلك المواهب التي ستتكشف غداً في حقول العلوم والفنون...

وإلى ذلك الذكاء الذي ضاع .. والذي سيوجد بين هؤلاء الآلاف من الأميين تقول كوبا، إن الوطن بحاجة غالية إليكم في هذا الوقت، وقت البناء العظيم.

إن الوطن بحاجة إلى المعلمين والأطباء والمهندسين الذين سيخرجون من الشعب.
.

قال كاسترو،

إنـا في منتصف المعركة الهائلة، وضعنا أمامنا واجباً جباراً، وهو استئصال الأميه خلال عام واحد فقط، وعلينا أن ننفذ هذا الواجب. وإذا كانت الثورة لم تستطع أن

تنجز هذا العمل، فإننا لن نستطيع القول بأن الثورة قد ربحت كل معاركها .. وكم يكون مؤسفاً اذا ما خسرنا معركتنـا مع الجهل، كم يكون مؤسفاً لو أننا عجزنا من إنجاز هذه الغاية، ولكنني لست متشائماً، والهدف سيتحقق، لأن شعب كوبا قد كفل مجده!.

وفي وسط الحماس الهائل الذي يلبي فيه الشباب المثقف نداء زعيمهم يطلب منهم مضاعفة إمكانياتهم .. ويدعوهم إلى الذهاب إلى الحقول والجبال (أورينت) حيث تجندت أربعون ألف فرقة لتعليم الأميين.

وفي (فاراد يرو) أقيمت دورة تدريب قصيرة، مع وجود تسهيلات من تجهيز لباس، وكتب، ودفاتر، وفوانيس، وكل مجموعة تبقى هناك من 5-7 أيام . . والصعوبات التي تواجه هذا العمل هي صنع مائة ألف بدلة وحذاء .. وقد تساءلت هناك بعض الفرق، ولماذا زوج واحد من الأحذيه لكل واحد فقط؟

ولماذا بذلة واحدة؟

هب ان الحذاء تمزق !

وهب ان زجاج الفانوس قد انكسر!

وأجابهم كاسترو، استعملوا الشموع! إننا عندما كنا في الجبال، تمزقت أحذيتنا، ولكن ماذا فعلنا؟ هل استسلمنا : اننا ربطناهم بسلك ؛ وهكذا يعمل كاسترو بداب وإخلاص للقضاء على الاميه في بلاده ، ولتمر كل المجالات امام المواهب الفتح وتنطلق الى حيث تشاء ..

وأجابهم كاسترو ، استعملوا الشموع إنا عندما كنا في الجبال . مزقت احذيقنا ، ولكن ماذا فعلنا ؟ هل استسلمنا : إننا ربطناهم بسلك!

وهكذا يعمل كاسترو بدأب وإخلاص للقضاء على الأمية في بلاده. ولفتح كل المجالات أمام المواهب لتتفتح وتنطلق إلى حيث تشاء ...

إن ثمار هذا العمل العظيم بدأت تنعقد، إن كاسترو يحتفظ بمجموعة رسائل وصلته من هؤلاء الأميين الذين لم يعودوا أميين. وسيسلم كاسترو هذه الرسائل إلى التاريخ والمستقبل .. وليثبت أن هذا القائد الذي حرر شعبه من السلاسل سيحرر عقله من الجهل، وسيدخل إليه التفتح والشمس .. .

أو ليس هذا شيئاً أقرب إلى المعجزات والأساطير منه إلى الواقع والحقيقة.

امرأة عمرها 106 سنوات، استطاعت أن تتعلم القراءة والكتابة في هذه الحملة ..

لم تتعلم أن تكتب اسمها فقط كما يتبادر إلى الظن .. وإنما كتبت إلى كاسترو رسالة .. تقول فيها،

"كان اسم معلمتي (انجلا) ..

لقد كنت متشوقة إلى التعلم.

إن كل إنسان يستطيع أن يتعلم ما دام يملك خمس حواس.

إن هؤلاء الذين لا يملكون العقل هم فقط لا يستطيعون التعلم..فالعمر ليس مهماً في هذه القضية .. "

هذه العجوز تكتب هذا الكلام بعدما عاشت مائة وست سنوات تفصل بين كلمة (الحرية) و (العبودية) لأن الاستعمار شاء أن يجعل الشعب يفرق بين الحرية والعبودية، ولكن كاسترو جاء وفك كربا من الصخرة التي كانت مربوطة بها.

17-الثقافة في الجزائر

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 17 تشرين الثاني 1961

ثورة الجزائر، تدخل عامها الثامن ..

والجميلتان، بوحيرد وبو باشا لا تزالان في السجن.

وأحمد بن بيلا، يحتضر قرب باريس.

ومئات الآلاف من الأبطال الذين لا يعرفهم التاريخ بأسمائهم بل بدمائهم، يدخلون إلى التاريخ من أقدس باب.

وقمم الأوراس .. تشرب من دماء الشهداء سبع سنين .. وما ارتوت ..

وصخور الأوراس .. تتكيء على أشلائهم .. وما تعبت.

وتراب الاوراس .. ينبت الأبطال .. وما أمحل ..

وزيتون الجزائر الأخضر، يتشرب بالحمرة، وما سقط.

و فرنسا، يأ كل السل رئة ضميرها.

وتبني على جماجم شهداء الحرية بساتينها

وتخرج من التاريخ من أقذر أبوابه ..

وبعد .. نترك هذا الحديث الذي يأبى إلا أن يكون عـاطفياً يشرق بالدم .. وندخل إلى حديثنا باختصار : فالاستعمار الفرنسي، أراد أن يقتلع الجذور التي تربط الجزائريين بالتاريخ، ويحولهم إلى ناس مجردين من كل ثقافة وطنية عربية، ومن كل معـالم شخصيتهم، ليتحولوا إلى عبيد أدنيـاء ينظرون إلى فرنسا بأسمى نظرة يضمحل أمامها كيان الجزائر بما نقدم له من المفاهيم عن عظمة فرنسا وقوتها العسكرية .. ثم يشتد هذا الشعب المنقطع عن التاريخ بالحاجة الأدبية والمادية إلى فرنسا، فيحقق بذلك الاستعمار الفرنسي مغالطته بأن الجزائر جزء من فرنسا.

وقد قال سيمون ويل، "إن الناس الذين يجردون من ثقافتهم، فإمـا يظلون من غير ثقافة، وإما يتلقون رشاوى لثقافة يراد تلقينها."

وأول ما فعله المستعمرون هو تمزيق الكتب في الجزائر. وهذا يكذب ادعاء الفرنسبين القائل بأن الثقافة كانت معدومة في الجزائر، وانهم جاءوا لنشر التعليم، وللتجديد الخلقي عند القبائل.

وإلا فما معنى ما كتبه (بولار) في كتاب «تعليم سكان الجزائر الأصليين». «كان للجزائر في القرنين الرابع والخامس عشر مراكز ثقافية مشرقة، فقد كان يدرس الفلسفة والأدب والعلوم وعلم الفلك أساتذة لامعون.». وقد ألقى وصول الفرنسيين عتمة حالكة في هذا العالم من المفكرين والأدباء. وقد تركت أغلبية العلماء المناصب التي كانت تحتلها. وتفرق التلاميذ. وقد كانت المساجد التي كان عددها بالآلاف، بالإضافة إلى المدارس، تقوم بالتعليم؟ باللغة العربية، وفي الوقت نفسه تدرس القانون والتشريع ..

وقد كتب الكـاتب الجزائري (محمد المغربي) مقالاً من هذا الموضوع (المستعمرون الفرنسيون في الجزائر). قال فيه : منذ غزو الجزائر، برز لدى الممثلين الجدد تياران، أحدهما في صالح تعليم الجزائريين، والثاني معارض ذلك. وقد انتصر التيار الأخير. فإن القرار الأخير الذي اتخذه المستوطنون في هذا الصدد عظيم الدلالة، «وبالنظر لأن تعليم الجزائريين يخلق في الجزائر خطراً حقاً، سواء في الميدان الاقتصادي، أم تجـاء المستوطنين الفرنسيين، فنحن نرجو إلغاء التعليم الإبتدائي للجزائريين».

هذا ما جاء في قرار المعارضين لتعليم الجزائريين، أما التيار الأول. الذي يدّعي بأنه لصالح الجزائريين، فهو في الواقع عكس ذلك، ولكنه يسلك طريقاً ملتوياً غير مباشر، فهو أيضاً يمضي إلى العمل على تحرير الشعب الجزائري من شخصيته .. والتأثير عليه تأثيراً أعمق من تأثير القوة.

ولتنفيذ هذه الغاية استعملوا المدارس الفرنسية كأفضل وسيلة، حيث غرست في عقول الشباب عظمة فرنسا وقوتها.

وقد قال مدير دار المعلمين، أن المدرسة الوطنية في شكلها الراهن فإن عملها الكريم ليست وسيلة تجديد خلقي فقط، بل وسيلة سلطة وطريق غير خاصة وتجعل من تابعينا أعضاء نافعين جدأ في المستعمرة وخداماً أمناء لفر نسا».

أعتقد أن ليس في هذا الحديث أي منفذ صغير للمُلابسه والغموض في وضوح سياسة فرنسا الثقافية في الجزائر منذ 129 سنة.

وإلى هنا لا يستطيع القصد من إدعاء تطوير الثقافة أن يختفي في زاوية من زوايا الظن فالهدف الأول والأخيرهو تجريد الجزائري من شخصيته العربية.

وإلى هنا أيضاً. لم يكتف الفرنسيون في هذه العملية التجريبية، بل خطوا الخطوة الكبرى في هذا الميدان، وهي إعلان لغة الشعب الأم الأجنبية .. اتخذت هذه العمليه صفة الشمول، لانهم طبقوها على كل القطر الجزائري، قاوموا اللغة العربية، واتبعوا أساليب تعسفية في فرض اللغة الفرنسية، وأخذت تنقطع المسارب التي تطل منها الجزائر على تراثها وتاريخها، وتحول أدباؤه إلى استعمال اللغة الفرنسيه لغة للتعبير.

وعندما أعلن الشعب الجزائري كلمته في هذه القضية بعد أن استفاق على واقع لغته وتراثه مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، أخـذ ينشر المدارس غير الرسمية، لتدخل النور العربي بالكلمة العربية إلى عقول الشباب والطلاب. فعادت إلى التراث العربي تستمد من قوتها.

ولكن الاستعمار أعلن موقفه من هذه القضية معارضاً.. فخاض الشعب نضاله الحقيقي.

وأغلقت هذه المدارس التي فتحت التعليم أكثر من أربعين ألف شاب وشابة، ولكن أثرهـا لم يمت .. فقد أكمل الطلبه المتخرجون منهـا تعليمهم في جامعات مصر وتونس، ووقفوا في أولى صفوف المدافعين والمتحمسين للغتهم الوطنية.

وبعد .. فستنتصر اللغة العربية والثقافة الوطنية مع انتصار القضية الجزائرية التي تجند لها كل جزائري. عامل وفلاح ، ومثقف واديب ، حتى اولئك الادباء الذين حرمهم الاستعمار من لغتهم الوطنيه يعيشون في طيـات بلدهم الجزائر. ويستمدون منه الطاقة، حتى لو كتبوا باللغة الفرنسية .. أمثال الأديب الكبير محمد ديب الذي قال :

"الأدب الجزائري هو أدب جزائري عربي، وإن كتب بالفرنسية فاللغة هي الفرنسية وأما الروح فهي جزائريه عربية .. ونحن الكتاب الجزائريين وإن كتبنا بالفرنسية، فأدبنا يدور في نطاق وطني . ."

18-الذكرى المئوية لميلاد طاغور... أناشيد طاغور

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 24 تشرين الثاني 1961

الإنسانية، تدين أيضاً بقضيتها إلى جماعة كبيرة من رجال الأدب والفكر والفن. حملوا رسالتها .. ونادوا بانتصار السلام والأمن على مفاهيم وأفكار الحرب والكراهية والعداء، هذه المفاهيم التي تعمل على تشويه معاني الحياة الإنسانية ..

وهذا هو المهم هنا ..

أن يقف هؤلاء الرجال في طليعة المعركة في سبيل السلام لخلق عالم جديد، مشبع بالمفاهيم الانسانية الراقية .. يرقى معه الأدب إلى مستوياته العالية..

ومن هؤلاء الذين حملوا الرسالة الإنسانية ..

شاعر الهند العريقة ..

شاعر آسيا والشرق ..

رابندرانات طاغور . ..

إنه آمن بالإخاء في صخب الأنانية ..

نبذ تناحر الأوطان في ثورة القوميات الأنانية ..

كفر بتجزيء الانسان للكون ..

كره الحدود والحواجز التي تجزيء الإنسانية ..

وبغض صراع الإنسان مع الإنسان ..

أو ليس هذا غريباً .. وهما، «موج : إن دفعهما البحر الأكبر على الشاطىء الموحش، وستمتزجان بعد لحظة في غمرة الهادىء الرحيب» ..

ومثاله الأعلى، تقريب ناس الشرق والغرب.

نظرة طاغور الواسعه الشاملة..

ولكن هذا ليس كافياً..

فطاغور شاعر الهند أولاً .. وشاعر الإنسانيه ثانياً. إنه لا يمكن لأي شاعر أن يكون عالماً قبل أن يكون شاعراً وطنياً قومياً يغني أمته .. وحين يبلغ هذه الرسالة المحلية .. يلتفت إلى الإنسان في كل الدنيا.

ومن هنا نبدأ مع طاغور في الهند ..

إن نقاد الأدب يعتبرون طاغور علماً من أعلام الشعب الهندي الكبير.. وميزته العظيمة أنه كـان يثير الإحساس الوطني في الشعب الهندي المتعدد القوميات .. ليقف على قدميه .. ويرفع رأسه في سماء ماضيه الخالد العظيم. وليرى نهاية الاستعمار المحتومة ..

وماذا كان يؤلم طاغور في هذه القضية؟ ..

إنه يرى الهند تحت السيطرة الاستعمارية متخلفة عن ميدان الحياة .. فينادي طاغور بتحطيم جدران الأوطان .. والاندفاع في نهر الحب العظيم .. وهذا الأساس الوطني الدافق .. يعود بنا الى شباب طاغور، فقد نشأ في جو مفعم بالشعور الوطني الحـار، فانطلق في مطلع شبابه، ينظم للشعب الأناشيد، ويدعو إلى الكفاح من أجل الحرية، ملقياً في الناس الخطب الحماسية.

إقرأ هذه الأبيات التي كتبها إلى غاندي.

«أما نحن، أعوان المهاراج غاندي

فهدفٌ واحدٌ يجمعنـا

ولا نجثو أمـام غني

إن هجموا مهددين،

فصوبوا الكلمات،

أو ارفعوا العصي '

يسعنا قائلين :

أن شرراً يتطاير من عيونكم

قد يوقظ الطفل مذعوراً في مهده

ولكن من يخيف ذاك الذي لا يخـاف

أما من حيلة ديبلوماسية ت

شوه كلماتنا البسيطة القديمة،

كلمات تسير بضحاياكم حتى عتبة السجون ..

وأخيراً .. لنقرأ معاً هذه الاناشيد الإنسانية التي اخترتها لك من كتابه (قربان الأغاني) الذي نال جائزة نوبل، وطبع سنة ظهوره 14 طبعة .. هذه الأناشيد العميقة التي تمزج الإنسان مع الطبيعة مزجاً عميقاً صوفياً لا يُفصل، انها تنقلك إلى آفاق جديدة نقية .. عميقة لا تحدها حواجز وحدود، حيث يحول الفكرة العظيمة إلى شعور وإحساس حارّين .. وهذه هي ميزة الشعر الخالد ..

"هذا النعاس المرفرف فوق عيني الطفل - أيدري بشر من أين جاء؟

نعم، يقولون إنه يسكن قرية مسحورة، بين ظلال الغاب القاتم، حيث نور الحباحب، وانحنى برعمان حييّان فاتنان، من هناك جاء النعاس ليلثم عيني الطفل.

هذه الابتسامة المائجة على شفتي الطفل النائم ـ أيدري بشر أين ولدت ؟؟

نعم ، يقولون إنّ شعاعاً شاحباً، من أشعة الهلال. لمس حاشية غيمة واهية، من غيوم الخريف، وعلى حاشية الغيمة، في حلم صباح نديان، ولدت ابتسامة، الابتسامة المائجة على شفتي الطفل النائم .

هذه النضارة الحلوة الفيناء، الزاهية في أعضـاء الطفل - أيدري بشرٌ أين خبت طول هذا الزمن؟

نعم يقولون أنّها كانت سر حب رؤوم، سرأ صامتاً، شائعاً في قلب الأم، يوم كـانت فتاة عذراء.

في قلب العذراء، كانت النضارة الحلوة الفيناء، الزاهية في أعضاء الطفل ..

لم أعِ لحظة أتيت فيها الحياة. ألا أي قدرة فتحت عيني على هذه الأرجاء المجهولة، كما تتفتح زهرة الغاب في قلب الليل؟!

عندما أبصرت عيني نور الصباح. لم أشعر بغربة على هذه الارض. وما كنت أجهله شكلاً واسماً، أحسسته أماً تضمني بين ذراعيها.

عند موتي أيضاً، سيلقاني نفس المجهول كصاحب قديم. وسأحب الموت لأني أحب الحياة.

يصرخ الطفل حين تسلبه الأم أيمن ثدييها. ويرضى بعد لحظة ناهلاً ثديها الآخر.

19-مهرجان آخر

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 1 كانون الأول 1961

آخر أخبار الأدب الواردة من العالم العربي خـبر جاء من البنان يقول :

إن أدباء المهجر في البرازيل أقاموا مهرجاناً في الجامعـة الأمريكية للاحتفال بالشاعر العربي اللبناني بشارة الخوري ..

وهذا الخبر لا يمكن إلا أن يذكرنا بالمهرجان الكبير الذي بلغ من العمر حوالي أربعة أشهر، والذي اشتركت فيه وفود عن أكثر الاقاليم العربية .. ولهذا كان من الطبيعي الاعتقـاد بأن مهرجان الشعراء المغتربين كان نجاوباً مع أدباء الوطن الذين كرموا الأخطل الصغير أروع ما يكون التكريم ..

ولهذا التجاوب الأدبي أكثر من دلالة و معنى.

أول دلالة تقول : أن هـؤلاء المغتربين الذين نزحوا من (الشطآن التاريخية) إلى الآفاق البعيدة، حملوا في قرارة نفوسهم حباً لهـذه اللغة الغنية، المرنة، المتجددة، الحافل أدبهـا بذخائر العقل والقلب. كما قال فؤاد صروف ..

والدلالة الثانية أن هؤلاء، وإن هاجروا بأجسامهم ليزرعوا الكلمة العربية في نصف الكرة الغربي، فلا تزال تربطهم بوطنهم الروابط الروحية والتاريخية التي يستحيل قطعها.

ومن أجل هذا .. يستجيب المهجريون الذين يمثلون بقـايا الأدب العربي في المهجر الذي يقف على عتبـة الوداع .. أقول .. يستجيب هؤلاء لكل ما يدورفي وطنهم من حركات أدبية ووطنية وسياسية ايضاً، في كل معركة من معارك العرب في الشرق، كان صوت المغتربين بجلجل للحرية ولشمس الشرق الرائعة..وكانت آخر استجابة أدبية لهم هو الاحتفال بشاعر العروبة الكبير، بشارة الخوري، الذي احتفل به العرب قبل أشهر في الرابع من حزيران الماضي، بغياب أدب المهجر .. ولذلك تقدم اليوم ليكرم الأخطـل بمهرجان، إن لم يكن رائعاً وحافلاً كسابقه، فلا يقل عنه عاطفة وقدراً، بل ربما فاقه نسبياً، إذا قيست المسافات، كما قال (فـارس الدبغي) مندوب أدباء البرازيل الذي جاء يحمل أمانة ورسالة وهدية.

الأمانة .. هي اقامة المهرجان

والرسالة .. هي عواطف أدباء المهجر

والهدية .. هي الكلمات والقصائد التي كتبوها لتنشد في المهرجان ..

بقيت الآن الدلالة الثالثة .. وهي الهامة :

الدلالة تقول : أن بشارة الخوري، يستحق كل هذا الاحتفال والتقدير..

وهنـا .. نقف لنلقي نظرة على شعره .. ومـا هـو الدور في التجديد الذي قام به.

إذا كان لابد من أن نُدخل بشارة الخوري في مدرسة من مدارس الشعر، فهو أقرب ما يكون للمدرسة (الرومانسية)، وكثير من النقاد أجمعوا على أن بشارة الخوري شاعر رومانسي .. لماذا؟

أولاً .. نعومة كلماته وصفاؤها ولينها .. واعتناؤه باختيـارها من عناية أنيقة.

ثانياً - صوره المنتزعة من الطبيعة، وربطه نفسيته معها كشأن الرومانسيين .. ولكن إلى حد وقف عنده.

ثالثاً ـ الروح الحزينة، المتشائمة أحياناً، التي تسيطر على بعض شعره.

رابعاً ـ نجديده (المحدود) في شكل الشعر .. وهنا أيضاً تراه يبعد قليلاً من الرمانسيين، فالرومانسية في الأصل أولى مبادئها الثورة على الجمود وعلى شكل الشعر القديم .. ولكن بشارة الخوري لم يثر على الأشكال وظل يكتب أشعاره على العمود الكلاسيكي مع تنويع في القافية في بعض الأحايين. ولكن تجديده كـان ملحوظاً في بعض الأفكار والمواضيع التي يعاينها. وفي تعابيره الجديدة غالباً .. وكان من أبرز المواضيع التي جندها بشارة هو إدخال القصه الشعرية إلى الأدب العربي سواء أكانت غزلية أو وطنية..

وبعد .. فقيمة بشارة الخوري تكمن في أنه كان حلقة الوصل أو العتبة التي هيأت للشعراء المجددين أمثال أبو شبكة الطريق إلى الشعر المجدد في مطلع القرن العشرين، أولاً .. وكونه شاعراً وطنياً غنى أحاسيس أمته (نصف قرن تقريباً، ثانياً ..

ونترك الآن كل هذا .. ونقرأ هذه الابيات التي حفرت على اللوحة التذكارية التي قدمت هدية من أدباء البرازيل إلى الأخطل الصغير، كتبها الشاعر شفيق معلوف :

عبقري نقرش التبر له ولو اسطعنا فرشنا المهجـا

واندفعنا زغردات في المدى تقحم الريح، وتطوي اللججا

حملناها إلى سدة من ارقص العقد، وهن الدملجا

سل شفاه الغيد، تهمس باسمه كلما شيء عليها اختلجا

واسأل "البرق" الذي عن قوسه زج سهم الفجر في قلب الدجى

أخطليّ الكأس، شوقي الطلا عمري البث، سحراً وشجـا

أمـل الشعر المرجي يـوم لم يبق للشعر بقيـات رجـا

20-في الذكرى الواحدة والخمسين لوفاة تولستوي

الإله الجالس على عرش من خشب تحت شجرة زيتون ..!

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 8 كانون الأول 1961

الميزة التي يتفق عليها كل أدباء العالم في تولستوي هي : «الاحساس بالطلق»، أو «دوار اللانهاية»، كما يقول «رولان».

ويمضي آخرون الى القول بأن تولستوي عالم لا يحدّ.

وفوركي يقول : «إنه يشبه إلهـاً، ليس إلهـاً من الأولمب، بل إلهـاً روسياً، يجلس على عرش من خشب تحت شجرة زيتون»

أما الشاعر العربي سعيد عقل، فقد قال عنه : «في فترة من التـاريخ. تنجب البشرية واحداً في حجم المصير».

وبعد، فلماذا أقدم هذه الكلمات! أقدمها، لأجد لنفسي عذراً ألتجيء إليه، لأتخلص من الضياع في أنحاء هذا العالم المتد الأطراف الذي حيّر.. وهو تولستوي.

هذا من بـاب.

ومن باب آخر، لأن المجال لا يعطيني حرية السفر في أنحاء هذا العالم ولهذا. نكتفي بالسفر على شاطىء تاريخ حياته.

في قرية صغيرة إسمها باسينا بوليانا، وفي مطلع خريف عـام 1828 أعطى التاريخ الإنساني للأجيال إحدى العبقريات الكبرى.

هذا ما نقوله في الأدب.

أما ما نقوله في الحديث العادي. أعطت الحياة طفلاً خامساً للكونت تولستوي .. ولزوجته الأميرة فولكونسكي.

في الثالثة من عمره توفيت والدته.

وفي السابعة، توفي والده.

وفي الخامسة عشرة، دخل الجامعة، ليعود بعد قليل بدون شهادة علمية. وحاول اثناء وجوده في الجامعة دراسة لغتنا العربية.

وفي الرابعة والعشرين، ابتدأ اسم تولستوي يتفتح في حديقة الأدب، أول إنتاج له «الطفولة»، وألحق به فيما بعد «الصبا» و «الشباب» .. وامتدت شهر ته واسمه في جميع أنحاء روسيا، خاصة عندما خاض حرب القرم، ووصف معاركها وصفاً رائعاً. وفي عام 1857 قام بثلاث رحلات غربيـة .. زار فيهـا ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وانكلترا. ليأخذ منها أساليب الإصلاح الإجتماعي.

وفي هذه الفترة مات أحب أشقائه اليه، فاندفع جدياً إلى التفكير في معنى الوجود .. والحياة .. والموت.

وعندما عاد من رحلته، دخل مرحلة جديدة، وخطا خطوة جديدة حاسمة، أعتق جمع أقنـانه، وفتح مدرستين على نفقته لتعليم أبناء الفلاحين؟ قاصداً من ذلك تربية الشخصية الإنسانية، لا حشو الدماغ بمعلومات جامدة لا تنفع .

وكـان جواب الحكومة آنذاك إغلاق المدرستين .. لصد النور عن أبناء الفلاحين (الغوغاء) ..

وفي عام 1862 أقدم على فترة جديدة في حياته .. أقدم على الزواج ... وكانت زوجته فتـاة من الأشراف.

وكان الهدف من زواجه تنظيم حياته بطريقة يستطيع معها خدمة الغير. وكان الزواج موفقاً.

وأنجبت الزوجة ثلاثة عشر ولداً.

ولكن أفكار تولستوي المتطرفة التي يبشر بها في الفترة الأخيرة من حياته، انقلبت إلى معول هدم فيه سعادته الزوجية .. ليبني السعادة الإنسانية للاخرين.

زوجته لم تكن راضية عن تلك الافكار والتعاليم ..

وتولستوي أعلن في هذه الفترة موقفاً جديداً يغذيه إيمان جديد ..

لم يرض أن يكون نهب تناقض في حياته.

فهو يعيش كرجل ارستقراطي، ويدين بدين يقف على أقدام البساطة في العيش، ويتنفس برئة المحبة والعطف على الفقراء، ويتنكر للثروات الجامدة.

فاذا فعل؟

لبس لباس الفلاحين، وحرث الارض، وحاول توزيع ممتلكاته، والتنازل عن حقوق مؤلفاته للفلاحين والفقراء ..

ومن هنا احتد النزاع بين الفنان الإنساني ذي النزعة الشعبية البسيطة، وبين الزوجة ذات النزعة الأرستقراطيه حياة وتفكيراً.

وهكذا، فشل تولستوي في التوفيق بين ما يقول ويفعل، وبين حياته الخارجية وحياته الباطنية .. ويئس نهائياً من إقناع زوجته.

وهرب تولستوي ..

وفي إحدى ليالي تشرين الثاني، في ليلة حبلى بالثلج والصقيع، والخوف والقلق، كان شيخ يسلخ من عمره إثنين وثمانين عـاماً قرابين دسمة للفقراء والإنسانية. كأنه إله، ليس من الأولمب، بل من روسيا، يجلس على عرش من خشب تحت شجرة زيتون .. يركب قطاراً برفقة طبيبه، قاصداً ديراً كـانت إحدى أخواته إحدى راهباته.

وفي الطريق .. مرض.

وكان التاريخ يسجل رقم 1910، ودفن تولستوي في تراب قريته الصغيرة بلا كهنة وشموع وبخور.

وهكذا انتهت حياته الحافلة بالخير والعذاب من أجل الانسان، الساهرة أجل الانسان ..

ونحن إذ نسجل قصة حياته في كل ذكرى، لا نوردها للتسلية لا غير، فإن فيها تكمن ثروة إنسانية لا تقدر.

فتولستوي، هو أحد القلائل الذين حاولوا الجمع بين ما يقولون ويفعلون، أي الجمع بين حياته الخارجية والباطنية، وهذه محاولة نادرة، إذا مـا أفلح بها الأديب، بلغ القمة العالية، وأعطى أدبه ضمانة الخلود، ففي تنازله عن ممتلكاته. وعن زوجته. وحتى عن بيتـه ومأواه، كـان تولستوى يرقى إلى أقدس مـافي الوجود، وهو الإنسانية، ويدخل قلوب الملايين.

كان يقول دائماً :

"إن على الكاتب أن يتألم مع الناس إذا هو شاء أن يهديهم الى الخلاص، أو يحمل إليهم شيئاً من العزاء .. وعليه أن يترك فلذة من كبده في المحبرة كلما غمس قلمه فيها".

قال لينين : « إن خضم الشعب المتحرك حتى أعماله ينعكس في مذهب ذولستوي بجميع مناحيه الضعيفة والقويـة..

«إن الطبقة العاملة الروسية ستستقي من دراستهـا مؤلفات تولستوي الغنيه كيف تعرف أعداءها معرفة أفضل، وإن الشعب الروسي كله. في تبحره مذهب تولستوي، لا بد له من أن يفهم مم يتألف الذي عاقه عن ان يتم عمل تحريره إلى نهايته ..».

21-آخر كتاب لعبد الوهاب البياتي : كلمات لا تموت

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 15 كانون الأول 1961

موعـدنا اليوم مع واحد من الشعراء المشردين، الذين حملوا صليب العذاب على أكتافهم من منفى إلى منفى، وراحوا تحت هذا الصليب يحملون حب وطنهم ويوزعونه بأناشيد ساخنة إلى كل العالم.

ذنب هذا الشاعر أنه يريد لبلاده أن تشرق عليهـا الشمس، وبريد لأطفاله غداً بلا حروب، ويريد لزوجته أن تنام مطمئنة على أبنائها..

شاعرنا من العراق، يعرفه كل قارىء للشعر الحديث، لا أقصد الحديث زمنياً فقط، بل شكلاً ومضموناً .. وهو عبد الوهاب البياتي الذي أُبعد عن العراق إبان حكم نوري السعيد وأطراقه، وتشرد وليس معه إلا عقيدة لا تهـدأ. وجذوة حب لا تنطفىء، وعبون زوجته وأطفـاله..

ومع شمس تموز، عاد الشاعر إلى وطنه، عـاد يحمل هذه الأغنية،

الشمس في مدينتي تشرقُ .. والأجراس

تفرع للأبطال ..

فاستيقظي حبيبتي فإننا أحرار

كالنـار .. كالعصفور .. كالنهـار!

وبعد طلوع الشمس على مدينته التي أصبحت «مقبرة الغزاة» يغني لها أغنية أخرى :

فلتضربي .. ولتضربي جحافل الفاشست والعبيد

ولتطلعي الربيع من ليل عصور الموت والجليد ..

ربيع كردستان

من صيحات جنـديّ على الحدود

يزرع في حربته الورود ..

وهذا هو الإيمـان الإنساني العميق بالثورة ومعناهـا. فـالثورة ليست مرحلة هدم القديم، والقضاء على أعداء الإنسانية والشعوب فقط، وإنمـا بنـاء من أجل السلام، هذا الايمان الذي يعبر عنه بالبيت الأخير، فحرية الجندي تتحول بعد انتصار الشعب وأخذ مصيره بيده إلى بناء السلام المعبر عنه بكلمة (الورود) ..

ليس هذا كل ما في الديوان ..

فالبياتي شاعر واسع الأفق، ذو نظرة إنسانية شاملة، بعيش حكاية النضال والبطولة الانسانية على كل أرض .. وهذه إحدى الميزات العالمية التي يتصف بها الشاعر، حيث انتقل من ذاتيته الأنانية الضيقة، إلى مجتمعه، ثم إلى عالمه. فالإنسان أينما كان هو مادة الشعر، هذه البديهيـة أعتقد أنه ليس هناك من يناقشها بعد غير المتخلفين عن القافلة السائرة، وغير أبواق الدعاية الرجعية التي تحتجب وراء شعار "الفن للفن" التي تقابل بالسخرية في كل مكان.

سأدوس في قدمي "دعـاة الفن" والمتحذلقين

وعجـائز الشعراء والمتسولين

فدم الحيـاة. يجري بأعراقي، وإني لن أخون

قضية الإنسان، إني لن أخون

فلتذهبي يا ربة الشعر الكذوب إلى الجحيم.

وفي هذه الابيات القليلة الزاخرة بالحياة، يلخص البياتي مهمة الشعر الحديث، الذي يتجاوب مع الأحداث الكفاحية، حيث انتهى الزمن الذي كان فيه «الفن يستجدي على أبواب كسرى».

قلت إن الشاعر بعيد الأفق لم يترك ثائراً إلا رافقه بأغنيـة .. وجميلة بوحيرد هي إحدى النماذج البطولية في تاريخنا العربي، ولعلها من أزهاها، كانت بين هؤلاء الثائرين، ويكمن معنى الروعة الجديدة في بطولتها أنها أنثى شابة لم يتفتح قلبها للحب، بل تفتح للبطولة والفداء وحب الوطن، وفي بطولة جميلة وعي وقوة، فهي تدرك ـ ولا تزال في العشرين ـ أن تحرير الوطن هو الذي يمهد للحب والأحلام. ومن هنا مصدر تغلب النزعة الوطنية على النزعة العاطفية الصرفة، فأصبح نضالها مزيجاً من الفكر والعاطفة. المهم .. أن أول ما يلاحظ إزاء جميلة أنها شابة في مقتبل العمر، كان عليها أن تحب.

وعلى هذا الاساس بنى كثير من الشعراء قصائدهم، وفي مطلعهم نزار قباني صاحب القصيدة المعروفة حيث قال عن جميلة :

في الصدر استوطن زوج حمام

والثغر الراقـد غصن سلام . .

ثم مضى في وصف جسمها قطعة قطعة، حتى كـاد ينحرف عن النزعة الإنسانية الوطنية ـ كما يجب ـ إلى النزعة العاطفية الصرفة، أو حتى نسي أنه يكتب عن إنسانة مميزة بالبطولة، مدفوعاً بغريزته المسيطرة على شعره كله!... وهذا عيب مفضوح في قصيدة نزار، أوحى إلى الشاعرة العربية نازك الملائكه بقصيدة تعارض بها نزار وتقول أن هذا ليس مكان الأغاني.

ولكن، مـا لنا ولهذا الآن ..

والشاعر البياتي، إبتدأ من هـذه النقطة أيضاً، واتهم هؤلاء الشعراء بالكذب واللصوصية، قال في «المسيح الذي أعيد صلبه»، عن جميلة :

كل مـا قـالوه كذب وهراء ..

اللصوص الشعراء، الهواة الأغبياء

إنني أحسست بالعـار لدى كلِّ قصيدة

نظموهـا فيكِ يا أختي الشهيدة

وأنا لست بصعلوك منافق

ينظم الأشعار مزهواً، وأعواد المشانق

لأخي الانسان بالمرصاد، أعواد المشانق

وأنا لست سياسياً خطيبـاً، فالمنـابر

طردتني منذ أن صحت بوجه النـاس :

كلّا! أنا ثائر

كل ما أملكه، يا إخوتي : حبي إليكم، بندقية،

وأنا لست بشاعر

يتغنى بعذاب البشرية

يحسن الرقص على أمواتنا الأحياء، يا أختُ، يغني بشهية.

(يتبع يوم الجمعة القادم)

22-آخر كتاب لعبد الوهاب البياتي 2 : كلمات لا تموت

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 22 كانون الأول 1961

تجاوب عبد الوهاب البياتي مع الأحداث إخترق حدود وطنه العراق، حدود وطنه الكبير العالم العربي، وامتد هذا التجاوب عـالياً عـالياً مع المد الثوري والإنساني في مناطق وبلاد بعيدة ..

وقـد يذكر القـارئ. قضية أراد المعسكر الغربي أن يطلق عليها اسم "قضية باسترناك"، ولا بأس من العودة إليهـا هنـا باختصار، لأن البياتي اشترك في هذا النقاش واستلهم قصيدة تعتبر من قصائده المبدعة.

فما هو باسترناك؟ وما هي قضيته؟

باسترناك أديب روسي كتب رواية إسمها "الدكتور زيفاغو" ومن هذه الرواية يطل الحقد والنقمة على الاشتراكية، والفوضى المتناقضة مع الكاتب ونفسه، ومع الكاتب ومجتمعه ..

إسمع ماذا يقول في هذه الرواية عن الحياة الجديدة في الاتحاد السوفياتي :

"إني أقر أنكم أنتم المشاعل المحررون لروسيا، وإنها لولاكم لهلكت وغرقت في البؤس والجهل، ومع ذلك فإنكم لا تثيرون اهتمامي، وليس بنفسي ولو ذرة من عطف عليكم، ولتذهبوا إلى المشنقة أخيراً .. "

ولذلك، كان من الطبيعي جداً أن تلفت هذه الرواية بما فيها من صرخات محمومة طائشة على النظام الاشتراكي الجديد أنظار المعسكر المعادي لكل غد للشعوب.

ومن الطبيعي أن ترفع هذه الصرخات عالياً عالياً متخذة منها دليلاً بائساً على سلبية النظام هناك في المعسكر الشرقي الذي ينـادي ويعمل من أجل مستقبل الشعوب ..

ولكن، أي شكل من الأشكال اتخذت هذه الضجة؟

من المعروف أن القائمين على منح جائزة نوبل رجعيون، بدون جدال أعداء للمعسكر الاشتراكي بلا أدنى شك، وتعزز هذا الامر الأسماء التي منحت أصحابها جائزة نوبل في الأعوام الأربع الأخيرة.

ولهذا، منحت أكاديمية السويد الملكية جائزة نوبل الأدبية لعام 1958 باسترناك..

وقبل أن نمضي بعيداً نسمع مـا قاله النقاد والأدباء السوفييت عن قيمة الرواية الفنية، إنهم وصفوها بالتفاهة.. ومن هنا يبدو بوضوح باهر أن مضمون الرواية الفوضوي هو الذي شد أنظار الرجعيين إليها ..

وإلى هنا تنتهي قصة باسترناك ومن هنا نبدأ. عبد الوهاب البياتي في قصيدته.

إنه يربط أولاً المشاعر الإنسانية التي تربط بين شعب الاتحاد السوفياتي بشعب العراق، ويرى الشاعر في الشعب الاول أنه يحمل كنز العالم على أهدابه، لأنه الشعب الأول الذي أطلع الصباح على كل الفقراء والفلاحين، وبذر أول زرع للإشتراكية.

بحارة الفولغا على شطآن قلبي ينزلون

وعلى لهيب قصائد الشعراء في وطني

على أبياتها يتدفـأون

يا حاملين كنوز عالمنا على أهدابكم

يا إخوني الخضر العيون

ثم يبعث صرخة من حقد عادل .. حقد الفلاحين الذين استماتوا من أجل هذا الحلم، والذين يحافظون عليه كبؤبؤ العين، حلم الاجيال الصاعدة من قبور العذاب والفاقة .. حلم المشردين بلا غد وأمل .. حلم الإشتراكية.. فكيف لا يحقد هؤلاء على الناقمين على حلمه الانساني؟ والذين لا يريدون إلا الفوضوية؟ وعدم الاستقرار، فيقول البياتي :

إنا سنجعل من جماجم سادة البترول

والعملاء والمتآمرين

لعباً لأطفال الغد المتضاحكين،

فليصنعوا آلاف "زيفاغو "

وآلاف الدمى؛

ومزيفي التاريخ، والمهترئين

إننا سنجعل من جماجمهم

منافض للسجاير،

إخوتي، الخضر العيون ...

أما بعد،

فلو ذهبنا إلى استعراض كل قصيدة لما انتهينا، فنكتفي بهذا القدر، ونمضي إلى الناحية الأخرى التي يرتكز عليها الشعر عدا الناحية الموضوعية.

ما هي القيمة الفنية في هذا الديوان؟

وما هي الميزات الجديدة التي تواجهنـا في هـذا الديوان من دواوين الشاعر الفائتة؟

وهل سَلِمَ البياتي من التكرار الذي أصاب أكثر شعرائنا المعاصرين؟

وهل جاء بجديد في هذا الشعر؟

من البارز أن البياتي أحد رواد المدرسة الحديثة في الشعر، الذين ثاروا على العمود الجامد وانتهوا الى شعر التفعيلة .. لأنهم يعتقدون، ونحن معهم، أن واقع حياتنا

الدينامي المتحرك لم يعد يلتقي مع واقع حياة البدوي الرتيبة حيث توالدت نتيجة تلك الحياة القصيدة التي ندعوها الكلاسيكية، ليس فقط في روح الشعر، إذ لايختلف أحد معنا في هذا المجال، بل في الشكل أيضاً، ثم إن هذه الطريقة ليست غاية من غايات الشعر، بل هي وسيلة للتعبير عن التطورات المعقدة والسريعة والمتجددة في حياتنا الجديدة.

ولكن البياتي كـان في ديوانه الأول "أباريق مهشمة" غامضاً في الكثير من القصائد غموضاً يتعسر على القارىء الوصول إلى شيء من خلاله، ونحن هنا نستطيع أن نرد هذه الظاهرة إلى أسباب .. أبرزها أن البياتي كان يومهـا يبحث عن طريقة خاصة به، فكانت شخصيته الفنية موزعة بين بعض الشعراء الغربيين الذين قلدهم، ومنهم إليوت، إيلوار، ثم ناظم حكمت، هذا بالإضافة إلى أن البياتي كـان «مكتشفاً» أو "فاتحاً"، ومن طبيعة المكتشف .. الغموض الذي يسيطر عليه خوفاً من المجهول، فهو لا يعرف إذا كان يكتب لتجربته الجديدة المغامرة النجاح أم الفشل.

وبعد ذلك تمكن البياتي أن يشق الطريق وأن يجد نفسه واضحة مستقلة، حيث تخلص من الكثير من التقيد.

أسوق هذا الكلام لأقول أن أهم ميزات هذا الديوان هو وضوح الصورة الشعرية وضوحاً يشعرك بالراحة والتفاؤل .. ولكنك لا تستطيع إلا أن تحس بحنين ناظم حكمت إلى عيون زوجته وطفله في هذا الكتاب .. ولكن لهذا الأمر أيضاً ما يبرره، فكلا الشاعرين مشرّد، وكلاهما غائب عن زوجته وأطفاله، وكلاهما يكاد يبكيه الحنين إلى زوجته وأطفاله ووطنه.

وكلاهما شاعر ذو قلب كبير..

وكلاهما منـاضل لا يسكت..

أما أنّ البهائي معجب بناظم حكمت إعجاباً مفرطاً فلا شك فيه .. فقـد خصص نصف ديوانه تقريباً برسائل يهديها إليه كـانت أروع ما في الديوان مع أنها خالية تماماً من الوزن. وآمل أن نعود إليها في حديث مقبل وإلى اللقاء...

23-مؤتمر الأدباء في الهستدروت!

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 19 كانون الثاني 1962

ارجو ايها القارىء قبل كل شيء، ألا تصدق عنوان هذا المقال خاصة عندما تعرف أن عدد الأدباء كان في المؤتمر خمسة وثلاثين أديباً! ليس هذا فحسب، بل عندما تواجه حقيقة أجمل وأطرف، وهي أن أكثر هؤلاء الأدباء من طابق «اليوم» و «الهدف» و "مكاتب الهستدروت" باختصار المباي!

ثم أرجو ألا ترتبك وتضغط على أعصابك كثيرأ عندما نقـدم نـافلة الأسئلة التي تزدحم في رأسك، لأني متأكد من كثرتها وانفعالها وتوترهـا . .

صحيح، أن هناك حالات كثيرة تضطر الأعصاب المتوتر، ولكن إهدأ هنا، فكل شيء أنيق .. لأنك مدعو إلى مؤتمر للأدب، والأدب في مفهوم أصحاب المؤتمر يحتاج إلى الإفراط في الأناقة والإتكيت، خاصة، وأن هنـاك أديبات معروفات! أقول الحق، إن قلبي يوجعني!

الأخبار الواردة من تل ابيب، قبل أسابيع ليست بعيدة، تقول أن مؤتمراً الأدباء اليهود والعرب عقد بمبادرة الدائرة العربية الهستدروت، وتحت رعاية جلالتها المعظمة كما يقال..

قبل أن تسمع تفصيل الخبر، أرجو مرة أخرى ألا تصدق موجزه، فلم يكن هناك في الواقع أدباء يهود قد تعرفهم..

والآن استمع،

عدد الأدباء كان 35 كاتباً وشاعراً !!

ومنهم عدد من الأديبات المعروفات!!!...

وقد طلب إغاسي .. الزعيم الهستدروتي من هؤلاء الأدباء إبداء آرائهم في مجلة "الهدف" وجريدة «اليوم» و "دار النشر العربي" !!

وتضيف الأخبار أن نقاشاً حاداً احتدم في القاعة كان مرجعه الموقف السلبي الذي تقفه جريدة «اليوم» صاحبة "السمعة الطيبة" في الاوساط العربية!!

ومن هنا يتضح مهما كانت جرأة هذا النقاش محدودة .. أن قسماً كبيراً من أولئك المدعوين والذين تعتبرهم الهستدروت من (جماعتها) لم يحتملوا موقف الجريدة السياسي المخزي، وهاجموه في عقر داره ...

ومن هنا تلوح الخيوط الأولى لخيبة الأمل :

السؤال الاول الذي يأخذ حق الصدارة في موكب الأسئلة الكثيرة التي يولدها خبر هذا المؤتمر هو :

من هو الأديب؟

وما معنى الأدب في نظر الهستدروت؟

قبل كل شيء نحن نحترم بضعة كتاب قلائل من هؤلاء الذين حضروا المؤتمر، ثم نضع صفراً على الباقين

ثانياً، نحن نعرف الجواب على هذا السؤال الذي تتجاهل الهستدروت وجوده.

من أوضح القضايا الأدبية في بلادنا .. أن هناك نوعين من الكتّاب.

النوع الأول .. الذين تدعوهم الكتاب التقدميين، والذين يكتبون ما ندعوه أدب الشعب أو أدب الحياة .. أي يستهدفون أدباً يخدم الجماهير و كفاحها لبناء مستقبل أفضل .. أدباً يفتح عيون الشعب على التناقض القـائم في المجتمع ..

أدباً يصدر من قاعدة تاريخية مضيئة، تقول إن الشعب صانع الثروات، وهو البطل في مادة الأدب! أدباً لا يستجدي على الأبواب ولا يمسح النعال ولا يتلون ويخادع .. ولا يأكل اللقمة من كف ظالمه..

أدباً يحرك الوعي الوطني والذاتي في قلوب جماهيرنا التي تقطعها السلطات عن تاريخها ..

أدباً يعيد إلى الإنسان كرامته وشخصيته!

هذا النوع من الأدب المشرق هو الذي يتبناه الشعب ويتجاوب معه ويثر فيه، ويتأثر به.

فما هو النوع الآخر؟

هو الأدب البائس الذي طرح كل ثقة بالمستقبل والحياة والنضال. إما من عمد وإما عن عمى .. ثم أخذ يفلسف نظرته بشعارات ملونة مختلفة تعود إلى فلسفة واحدة وهي فلسفة السلطة.

هذا الأدب سواء خدم السلطة بطريق مباشر أو غير مباشر، فهو لا يخرج عن كونه خادماً لها .. مهما اتخذ من أشكال الغمغمة والغيبية والغموض فهو في كل الحالات يقصد فصل الروابط بالجماهير والتعامي عن قضاياها وحاجاتها .

وهـذا النوع من الأدب من الطبيعي أن تتبناه قيادة الهستدروت وترعاه وتشفق عليه ثم لتنميه!

وهذا النوع من الأدباء هو الذي يكوّن المؤتمرات الأدبية عند الهستدروت.

فهل وضح الآن من هو الأديب عند الهستدروت؟

وهل وضح الآن ما هو الأدب عند الهستدروت؟

ولهذا لم يُدعَ الأدباء الأحرار أو التقدميون! لأن الهستدروت تعلم أنهم سيقلبون الدنيا على رأسها .. وقيادة الهستدروت مع ولديها «اليوم» و"الهدف" تحب الهدوء والصمت والنوم والموت لأدبائنا! فهل يموتون؟

إن النقاش والثورة على سياسة «اليوم» داخل المؤتمر يؤكدان أنهم لم يموتوا؟

سؤالاً آخر،

من أين لنا في هذه البلاد خمسة وثلاثون أديباً ولاحتكار الهستدروت فقط؟

ليست هذه هي المرة الأولى التي تحمل فيها جريدة «اليوم» الدف وتعزف ألحان أسطوانة مؤتمر الأدباء، فقد كررتها أكثر من مرة، وتكررها كل بضعة شهور!

وتاريخ هذه الأوركسترا يعود إلى عام تقريباً، حيث حضرت المؤمر الأول من سلسلة المؤتمرات التي تقوم الهستدروت بعقدها تحت رعايتها؟

فمن كـان هنـاك؟

إن الهستدروت كريمة في تفصيل بدلات الأدب وسخية في توزيع الشهادات مجاناً ولوجه بن غوريون!

إن الهستدروت اعتبرت كل مراسليها في جريدة «اليوم» أدباء!

ومنحت كل معلم على علاقة طيبة مع المسؤولين، شهادة اديب!

واعتبرت كل من ظهر اسمه على جريدة حتى لو في حل الكلمات المتقاطعة أديباً!

وإلا فمن أين للهستدروت 35 أديباً. .

ومن أين للهستدروت الأديبات المعروفات؟ في الوقت الذي لا توجد فيه في البلاد أكثر من أديبة واحدة أو أديبتين!

اما آن أن تخجل الهستدروت؟

اما آن أن تكف عن إهانة الأدب العربي؟

ثم .. أما آن أن يحترم أدباء الهستدروت العرب القلائل أنفسهم أولاً، وأدبهم العربي ثانياً.

أما قلت لك أيها القارىء لا تصدق عنوان المقال : أكرر رجائي!

وبعد، إن هذا المؤتمر كـان أشبه ما يكون بتأبين للأدب الهستدروتي الذي يجد نفسه في أزمة خانقة مردهـا السياسة الفاشلة التي ترمي لإخراس الأديب وشرائه وضمه إلى قافلة خدمها وعبيدها في وقت يملك فيه عنان الغد! ...

مرة أخرى أرجوك ايها القارىء ألا تصدق عنوان المقال .. لأن المؤتمر لم يعالج لا الأدب .. ولا الأدباء .. بل ليبعث قليلاً من الروح في جريدة «اليوم» و «الهدف»!

24-الهستدروت .. والأدب العربي

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 26 كانون الثاني 1962

الأخبار الأخيرة التي تروج لها جريدة «اليوم» في هذه الأيام، تقول : في الفترة الاخيرة، وبعد مباحثات دارت في نطاق دائرة شؤون العامل العربي، تقرر مضاعفة النشاطات الهستدروتية في الأوساط العربية من كافة الوجوه، وبناء على ذلك تقرر إنشاء "دار النشر العربي" لتساعد على رفع مستوى المطبوعات الهستدروتية.

من الواضح أن دار النشر هذه ليست إلا إسماً جديداً وريثاً لصندوق الكتاب العربي الملعون..

ونحن نعرف أن الماضي يدلك إلى حد يقترب كثيراً من الصحة على المستقبل ..

ونحن نعرف أن المستقبل يبنى على أساس من ذلك الماضي.

ولهذا، لا بد من لفتة إلى الوراء في كل حكاية ..

ونظرة إلى الوراء الآن، تنزع الستر عن عورة الدائرة العربية في الهستدروت في موقفها من الأدب العربي..

عندنا مثل عربي عاقل يقول : لكل جواد كبوة.

دعوني أسأل هذا السؤال، وإذا كانت حياة هذا "الجواد" لا كبوة ولا كبوتين، بل سلسلة من الكبوات والعثرات، فماذا ندعوه؟

بالطبع ليس جواداً!

دعوني أتطاول في كلامي. فأطلق الاسم الصحيح في لغتنا العامية على هذا النوع من «الخيل» .. (كديش)!.

ومن هنا، يتبين أن هذه العثرات ليست عثرات خيل، بل سياسة مقصودة مدبرة، تلقي الضوء على حقيقة هذه الدائرة.

ما هو إذن ماضي نشاطات الهستدروت في حقل الأدب العربي؟

على هذا السؤال تجيبنا (المنشورات) التي صدرت عن الصندوق.

مطلع هذه الاشعاعات ـ كما سموها آنذاك ـ كتاب إسمه (صراع إنسان) لمؤلفه الصهيوني ـ يهودا بورلا.

نحن لن نحترم بالطبع عواطف الهستدروت التي لا تريد استعادة الذكريات، وفتح الجروح القديمة .. كما يريدون.

بل سنذكر مرة أخرى أن القصة توحي بالتعصب القومي حين تصور عائلة يهودية تعيش في دمشق وسط جو عربي!..

وبكل قمة قدموا الكتاب باللغة العربية .. وللعرب!..

ولكن الثمن دفعه الفشل المخزي الذي واجه الكتاب.

1500 نسخة تكدست في وجوههم كأكوام الذنوب والأخطاء.

أما الخسارة فقد وقعت على حساب المعلمين!..

هذه الصورة الواحدة لا تكفي .. أصدروا كتباً مدرسية، كانت في حقيقتها تآمراً سافراً على تربية أطفالنا البراعم، بما احتوته من مساوئ. الأسلوب والموضوع، والضياع القومي، حيث كدسوها بمعلومات من الصهيونية. وأغفلوا كل أمر يمت للعروبة والعرب بصلة.

من هذه الكتب الفاشلة «أنا مواطن اسرائيلي»، ومن عنوانه إقرأ محتواه!!

ثم لا يمكن أن نتناسى كتاب (في مهرجان الأدب)، ولو كانت الدائرة تتمتع بشيء من الجرأة لأسمته (في مهرجان النفاق) حيث التقت في هـذا المهرجان الصهيوني كل خطابات النفاق والخيانات من أبناء شعبنا العربي، ليس جميعهم بالطبع، فهناك عناصر ما زالت تتأرجح بين منتصف الليل والظهر. وبين (اللا) (والنعم)، نرجو أن تجد طريقها إلى الخروج من تبكيت الضمير!

ماذا كان القصد من هذا الكتاب؟

لا تنس حقيقة هامة، وهي أن هذا الكتاب ضم في (جوانحه) المسابقة المعروفة التي أجرتها مجلة (حقيقة الأمر) المتوفاة عن مواضيع كان أبرزها التقدم والازدهار اللذان صاحبا العرب تحت ظل دولة اسرائيل!.

واضح أن الكتاب إنما أراد أن يعطي صورة كاذبة (تجمل) واقع العرب البائس في البلاد، هذا الواقع الذي يُسكت كل أبواق الدعاية المسكينة.

أفليست هذه باللغة العربية الصريحة بالنسبه للعرب المشتركين . . خيانة ...

ثم أليست هذه باللغة العربية الصريحة بالنسبة إلى الهستدروت .. وقاحة وتآمراً ..

نترك الجواب للقارئ. بعد مراجعة هذا الكتاب!

ثم، من كـان ضحية هذه الخسائر الضخمة في صندوق الكتاب العربي؟

الضحية كـانت المعلمين العرب بالدرجة الأولى، الذين تخصم من رواتبهم أثمان الكتب ..

وهكذا نرى أن حياة صندوق الكتاب العربي كانت حلقة متواصلة من العثرات والفشل، ولكنها ـ مع الاسف ـ لم تثر ضجة كبيرة إلا في آخر شوط .. في آخر فضيحة..

جميع القراء .. العرب واليهود، سمعوا بفضيحة (أنا أحيـا).

مرة أخرى نستعيدها.

(أنا أحيا) رواية لكاتبة مراهقة من لبنان اسمها (ليلى بعلبكي) ..

كل من قرأ الكتاب يفهم بلا تعقيد، القصد من نشره للشباب العربي في البلاد .. لا لشيء إلا ليدفعهم للتميع واللامبالاة .. وليعلمهم أن لا مشكلة في الحياة إلا الجنس والحب!

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ليعطوهم صورة زائفة غير واضحة عن المجتمع العربي خارج الحدود.

والكتاب في حد ذاته غير أصيل، ولا يصور بصـدق المجتمع العربي الشعبي لأنه تقليد طـائش للكاتبة الفرنسيه (ساغان).

أذكر أني قرأت قبل أسابيع مقالاً لصحفي عبري عن هذا الكتاب الذي ترجموه إلى العبرية أخيراً. يقول فيه :

إذا كان هذا هو واقع المجتمع العربي كما جاء في الكتاب، فلن يترك فينا انطباعاً مريحاً ..

أصدقتم؟ أعرفتم لماذا نشرت الهستدروت هـذا الكتاب الفاسد!

أعرفتم ما هو الأدب العربي الذي تعمل الهستدروت على نشره هنا، بعد أن عرفتم حقيقة الأدب العبري الذي اختارت منه (صراع انسان).

ليس الأدب التقدمي الحر، المكافح للحرية وضد الاستعمار في حركة التحرر العربي، بل الأدب المعلق على أجفان السماء، وعلى فراش الجنس.

لأن ذلك الأدب التقدمي في نظر الهستدروت يثير البغضاء والكراهية!!

وقاحة تقرف منها الوقاحة.

25-مرة أخرى ... الهستدروت والأدب العربي

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 2 شباط 1962

هذا الحديث، يحتاج إلى وقت طويل وسير أطول، وأعصاب جامدة، لتستطيع أن تتحمل كل شتائم جريدة «اليوم» التي تأخذ على عاتقها ـ بكل براعة ـ في كل مجال الدفاع عن كل عيب في سيـاسة المبـاي صاحب القيـادة في الهستدروت .. فإن الولاء الذي تقدمه هذه الجريدة التي تسري سمعتها "الزكية" في الأوساط العربيه سري القشعريرة في الجسد، تستحق من الدكتور بن غوريون شهادة شرف!

ولهذا، نحب أن نخيب ظن هذه الصحيفة التي تظن أنها وجدت عـابر سبيل لتتحرش به، ونقول لها : القطار يمشي.

والآن، نعود إلى حديثنا عن سياسة قيادة المباي في الدائرة العربية في الهستدروت من الأدب العربي الذي أخذت على عاتقهـا رفع شأنه في الأيام الاخيرة..

ولكي نفهم بكل وضوح هذه الفلسفة، نستذكر ما كتبه السيد الياهو آغاسي مدير هذه الدائرة في مقدمة كتاب «في مهرجان الأدب»، والذي استعادت جريدة «اليوم» موجزه قبل أيام في مقابلة صحفية مع آغاسي .. .

يقول أغاسي مـا معناه إن عندنا اتجـاهين في الأدب، اتجـاهاً سلبياً واتجاهاً إيجابياً . .

الاتجاه الإيجابي، هو الذي يأخذ بعين الاعتبار أن المشاكل التي تعانيها اسرائيل ليست مشاكل سياسية، بل قضايا إنسانية، وحلها لن يكون بتغذية العداوات، بل عن طريق التفاهم والتسامح والتعاون!

إحفظ جيداً ـ أيها القارىء ـ كلمة تغذية العداوات، ما معناها؟

ومن هنا نستطيع أن نصل إلى الاتجاه السلبي في الأدب عندنا في نظر قيادة المباي في الهستدروت.

يقول أغاسي أن هناك نفوساً يميل بعضها إلى العيش على الماضي وتغذية الناس بإثارة الذكريات المؤلمة، وفتح الجراح القديمة..

هذه الفلسفة، بكل تأكيد ـ ليست فلسفة أغاسي الخاصة، بل فلسفة المباي الذي يشرف على الدائرة العربية العامة في موقفها من الأدب العربي ..

إننا نعجب كيف يكون أدب، أي أدب بلا ماض! إن أدباً كهذا سيظل ضائعاً ممزقاً بلا قاعدة وبلا تراث، تماماً كما تفعل القيادة الرجعية للأدب العبري المعاصر إذ تحاول قطعه عن الأدب الذي أنتجه الأدباء اليهود على مر العصور لأنه أدب انساني تقدمي، تختفي فيه روح العصبية، ولانها تريد تربيته تربية أمريكية صرفة!

هذا شيء..

وشيء آخر، لا نفهم كيف ننسى ماضينا القريب ومآسينا التي لم تجف، هل من يطالب بحقه ويدافع عن حريته ومصيره يتهم بالعداوة والبغضاء في نظر القيادة المبائية في الدائرة العربية في الهستدروت!

وهل رثاؤنا لضحايانا الذين يتساقطون بلا ثمن تحت أقدام سياسة بن غوريون في كفر قاسم ودير ياسين وعلى حدود غزة مثلاً إثارة للجروح القديمة ويدعى بغضاء وعداوة في نظر القيادة المبائية في الدائرة العربية في الهستدروت!

ثم، أليست قضايا المليون لاجىء مشرد بلا أرض وسماء قضايا إنسانية؟ تغذي مئات القصائد والقصص عندنا، وتستحق أن تكون نقطة انطلاق لمرحلة كاملة من مراحل حياتنـا الأدبية. أمـا هذا عداوة وبغضاء في نظر القيادة المبائية للدائرة العربية في الهستدروت!

واضح كل الوضوح هدف هذه الفلسفة الشوهاء..

إننا لا نستطيع أن نساير نظرية «من ضربك على خدك الأيسر أدر له الأيمن» خاصة، وأن هذا الضارب وصل من الوقاحة حداً يطلب منا التسبيح لكفه التي لا ترتفع عنا ..

إننا نفهم مبدءاً واحداً لأدبنا في ظروف واقعنا في اسرائيل. على هذا الادب أن يعرف عدوه، الذي يطبخ كل مآسيه، عليه أن يعرف ان عدوه هو الحزب الحاكم صاحب السلطة، والذي يقبض على لجـام القيادة في الهستدروت .. وعليه أن يعرف أن عدوه يعمل بكل ما تتاح له من وسائل وظروف للقضاء على القوة النامية فيه، هذه القوة التي تفرك عيون النائمين من أبناء شعبنا، القوة التي تستمد طاقتها من أماني جماهير شعبنا. ثم تؤثر فيها بدفاعها عن أهدافها المقدسة ..

وعلى هذا الأدب، أن يفضح كل المؤامرات التي تهدف أول ما تهدف إلقاء ستر كثيف على ماضينا السياسي والأدبي المضيء!

وليس من قبيل الصدف أن القيادة المبائية في الهستدروت لا تلقي بالاً لتراثنا الخالد.

وليس من قبيل الصدف أنها تروج للأدب (الحالم) في صحفهـا العربية الاسم، وتعتبره أدباً "إيجابياً".

وفي اللغة العربية نقول عن هذا الأدب إنه ... زائف!

وشيء آخر!

إن التفاهم الذي يزعم أغاسي أنه ضنين عليه من (الأدب السلبي) لا يمكن أن ينمو في تربة محاولة إشاعة العدمية القومية، بل في تربة تنمية كل ما هو تقدمي إنساني ملىء بالرغبة في تراث الشعوب ..

وفي اسرائيل، يعني نشر التراث العربي الزاخر بهذه المعاني، وليس طمسه، ولكن قيادة المباي تناقض كل هذا. وتريد من الأدب العربي التنكر لكل هذا، والخنوع والاستسلام لها!

(والأدباء السلبيون) كما تسميهم فلسفة أغاسي، الذين لم يعتادوا أن يراضوا الحاكم الرجعي، لن يستسلموا للفلسفة المبائية بل يمضون إلى التفاهم والتعاون على طريق الأدب الحي الصادق الذي يلهم ويغترف بحق كل الشعوب في الحرية والكرامة والحياة، ويقلبون نعالهم في وجوه أعباء الحياة والشعوب!!

26-مؤامرة جديدة ... على الثقافة العربية!

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 9 شباط 1962

أمريكا .. بكل أجهزتها الفنية، وأبواقها المنتشرة في العالم العربي .. وبعض "الحياديين" الذين يخدمون هذه الابواق عن قصد وغير قصد، تتآمر على الثقافة العربية.

وأكثر من مرة، قام أدباء أحرار ورفعوا الصوت ليحذروا من خطر المؤامرة الاستعمارية التي تتستر وراء شعار خدمة الثقافة العربية.

وأكثر من مرة، قامت حملات قلمية ضـد غزو أمريكا الثقافي، وأنصارها الذين يريدون أخذ الثقافة من أي مصدر كان؟!

القضية لم تكن قضية أخذ ثقافة فحسب!

ليس هناك من ينكر على أي مثقف الإطلاع على كل ثقافات الشعوب!

ولكن السؤال الهام هنا هو : ما هو هدف هذه الثقافة؟ حتى في أمريكا نفسها توجد بلاشك أعمال أدبية ذات هدف إنساني يجدر بكل مثقف التعرف عليهـا مـثل أعمال مارك توين وهمنغواي وغيرهما ..

ولكن الخطر الصارخ ينبع من الثقافة المتآمرة لا غير.

فما هي هذه الثقافة الأمريكية المتآمرة؟

إنها تضع القاريء العربي تحت سيطرة الفكر المستعمر، وتشعره بتضاؤله أمام هذا السيد.

ثم، تحمل الدعاية للاستعمار بطرق مباشرة وغير مباشرة، إذ تجمل أوجهه السوداء من جهة، وتبرر كونه وضرورته من جهـة اخـرى.

ثم، والأهم من كل شيء. التهجم على الإشتراكيـة، حيث تصورها قيداً ثقيلاً على الفكر والأدب، إذ لا حرية إلا في امريكا .. أم الاستعمار وأبوه!.

أما الوسيلة الي تسربت بواسطتها هذه الثقافة فهي "مؤسسة فرانكلين" صاحبة التاريخ المعروف عند العرب، وقد قامت هـذه المؤسسة طوال سنوات ليست قليلة بتنفيذ المهمة التي ألقيت عليها بكل وسائلها الغنية المغرية .. وكانت تهدف من وراء كل أعمالهـا شل الأدباء العرب وصدّهم عن كتابة أدب عربي أصيـل نابع من أماني العرب في التحرر. وسد الطرق على هذا الإنتاج بما تملأ بـه السوق من الكتب الرخيصة الثمن والمحتوى – بالطبع – وأناقة الإخراج والغلاف البراق، واختيار أسماء كبيرة طنانة من الأدباء المأجورين عن عمد وغير عمد ليكتبوا المقدمات!

والميدان الذي "خيّل" فيه حصـان المؤسسة الامريكية. يقف عند الميدان الأدبي فقط .. بل تعداه للعلم والإقتصاد والتاريخ -- أيضاً.

ومـا الخطر من هذا؟

الخطر يكمن في تفسير هذه المؤسسة لكل علم من علوم الحياة .. حيث تبعده عن التفسير المادي الصحيح، ومسخ النظرية العلمية للاقتصاد "الماركسية" مثـلاً في كلمات قليلة طائشة .. وإظهـار الفردية وقوتها وسيطرتها في كل الاعمال الأدبية، وأن الأفراد هم الذين يصنعون التاريخ .

وبالتالي صرف الأنظارعن شؤون الجماهير العربية، ومطالبها الملحة للحرية والاستقلال، وتفوق "الأستاذ" الأمريكاني!

ونحن لا نزال نذكر الحملات التي قام بها كتاب أحرار من مصر عـلى هـذه المؤسسة التي تضارب الفكر الوطني بسبب الإمكانيات المالية الضخمة التي تملكها ..

ولكن التربة الاكثر خصوبة التي وجدتها هـذه المؤسسة لبذر زروع السم الامريكي كانت في لبنان.

وقبل كل شيء، أحب أن أعترض القارىء، وأجيبه عـلى سؤال قد يخطر بباله الآن؟

لماذا نعود إلى هذه القضية في هذا الوقت بالذات، وهي قصة قديمة، كتب عنها كثيراً؟؟

الجواب على هذا السؤال نجده في عدد الجمعة القادم. التحدث عن مؤامرة أدبية خطيرة في لبنان وإلى اللقاء.

27-مؤامرة أمريكية على الثقافة العربية

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 16 شباط 1962

أحب أن أنقل خبراً يقول ان المؤامرة على الثقافة العربية في هذه الأيام أخذت تنشط في لبنان، وتأخذ مجاري أخرى، وتلبس ثياباً جديدة تحتمي وراءها أفاع "خطرة". في لبنان أخذت تتعرّى أمام العيون.

قبل شهر، كتب الكاتب الحر محمد دكروب رسالة هامة الى كل أديب شريف في لبنان، وفي هذه الرسالة كشف الكاتب عن مؤامرة جديدة تنسجها المنظمة العالمية الأمريكية لحرية الثقافة - وتحتوي على فضائح مثيرة ..

يذكر الكاتب أنه قبل ثلاث سنوات، دعت المنظمة المذكورة إلى اجتماع لمناظرة حول "الحرية" (إقرأ جيداً - أمريكا تتحدث عن الحرية) وكان من المشتركين الأديب المعروف ميخائيل نعيمة ..

ورقة التوت الذابلة سقطت في هذا الإجتماع عن عورة حقيقة هذه المنظمة، بعد أن تبين أن هدف الإجتماع كان التهجم على الاتحاد السوفياتي والثقافة الإشتراكية، وأن الحرية موجودة في أمريكا فقط!

ووقف ميخائيل نعيمة، يحمل غضب الأرز الأخضر على سياسة الدولار الأصفر، ويقول : لم نأت الى هنا لنهاجم بلداً ونمجد آخر .. ثم، عن أية حرية تتحدثون؟

ومن هنا، بدأت الفضيحة ..

ولكن القصة لم تنته ..

فالمنظمة راحت تبحث عن ثوب جديد تنستر وراءه ..

وكان هذا الثوب ذا وجه أدبي يسمى مجلة (شعر) التي يجهل كثيرون من قرائنا وكتابنا حقيقتها!

هذه المجلة تحمل طابع تلك المنظمة، وتبشر برسالتهـا..

وتحت ستارها برزت أهدافها التي تتلخص بتمجيد الاتجاهات اليمينية في الثقافة الغربية، والتهجم على الثقافات الإشتراكية، والادعاء أن الحرية والاشتراكية تتناقضان.

وأصبحت للمجلة مطبعة خاصة بها.

ثم صارت تصدر منشورات أنيقة مطبوعة على ورق ثمين، وما تبعها من إجتماعات أسبوعية تغرق بالويسكي!

وبعدها صدرت مجلة عن الدار نفسها، تحمل اسم (الآفاق) تسير في نفس الانجاه ..

ولكن هذا النشاط (المحدود) لا يكفي!

قد بذكر قارىء "الجديد" خبراً صغيراً نشر قبل أشهر عن مؤتمر عقد في روما للأدب العربي .. أنفقت عليه وعلى الأدباء هذه المنظمة!

أمـا هدف هذا المؤتمر فهو إنشاء صلة بين الأدباء العرب وبين ممثلي أدب غربي – بالطبع – معيّن. والمصاريف جميعها على حساب المنظمة!

السؤال الذي يجب أن يُسأل هو :

أإلى هذا الحد تغار منظمة ثقافية من أمريكا، العدو الاول لحركة التحرر العربي وكل الشعوب، أإلى هـذا الحد تغار عليه و تفتش عن إيجاد صلة بين أدبائه؟!

وأبسط إنسان في أصغر بلد عربي يشك في الحكاية، وسياسة أمريكا التي تحبك خيوط كل مؤامرة على القومية العربية تعطي أزهى البراهين على كذبة هذا الإدعاء الذي لا يمسك الضحك من الانفلات!

إن إهم سؤال هنا هو :

هل شمل الأدباء العرب غير مجتمع، حتى يأتيهم الوسيط من الغرب؟ يجيب الكاتب بأن هناك واقعاً إسمه "مؤتمر الادباء العرب" أدى دوراً هاماً في عقد الصلة بين الأدباء العرب وفي تطوير الآداب العربية، والدفاع عن حرية الفكر والأدباء. وأدى دوراً هاماً في الحركة الوطنية العربية.

الصلة موجودة إذن، فلماذا تتجاهلها المنظمة؟ أولاً.

وثانياً، لماذا تتبرع بدفع كل هذه الأموال للأدباء؟

أعتقد أن السكوت عن الجواب لشدة بساطته أفضل عملية!

ولكن قمة الوقاحة التي وصلتها هذه المنظمة هي الحلقة الاخيرة التي دعت إليها، لبحث الوحدة العربية، وانفصال سوريا عن مصر، وقضية فلسطين. وقضايا أخرى..

ثم، لا تنس أن الأميرال الأمريكي، قائد الأسطول السادس، حضر الحلقة.

وعدد من موظفي وزارة الخارجية، جـاء،

والمستشار السياسي في السفارة الأمريكية وعدد من موظفي السفارة. شرّفوا!

لماذا؟

الجواب يعرفه كل طفل في بلاد العرب، عزل الأدباء من الحركة الوطنية. واجب كل أديب أن يحارب هذه المنظمة ويعزلها، قبل ان تستفحل! أما نحن، فللمعلومية كتبنا.

28-الشعر القديم أم الحديث

زاوية الأدب يحررها محمود درويش

الإتحاد 2 آذار 1962

احدى المرارات التي توجع قلب حياتنا الأدبية هي .. الجمود وفي الناصرة، ارتفع صوت ليحطم هذا الجمود .. وقامت جمعية الشبان المسيحية، لتفهم القضية، وتؤمن بها .. ولتنفذها، وهذا هو المهم.

وفي الاسبوع الماضي، شهدت قاعة هذه الجمعية ـ كما قيل لي- أكبر برنامج أدبي، عدداً وقيمة!

وكان البرنامج، مناظرة حول الشعر العربي القديم والحديث.

صراع قديم وطويل، احتدم حول هذا الموضوع؛ ولم يصل نتيجة، لأنه ككل تجـديد، لا يمكن أبداً ان يتبلور، وتتكامل شخصيته في مناقشات لا عابرة ولا مستقرة، بل يترك على عاتق التجارب .. والأيام!.

وهنا يطرح السؤال .. ما رأينـا؟

بالطبع، لن نكون محايدين .. ولا واعظين .. ولا متنبئين!

وعلى ضوء تجارب حياتنا الشعرية الطويلة نستطيع ان نستخلص رأياً نرجو أن يكون متواضعاً .. وصادقاً..

ينسى الكثيرون ممن يناقشون هذه القضية أمراً هاماً حين يتحدثون عن الشعر الجديد، إذ يجعلون شكل هذا الشعر الخارجي هدف كل المناقشات والتجديد!

فالوقوف على الشكل الخارجي هو أمر خطير يجعل التجديد سطحياً خارجياً، والتجديد الذي تدخله القصيدة العربية اليوم هو في مضمونها بالدرجه الأولى، والتجديد في هذا المضمون هو الذي يقرر ضرورة البحث عن القالب الجديد .. وشكل هذا القالب ..

تبقى حكاية القصيدة القديمة. والثورة غير الواعية عليها.

التجديد لا يعني ابداً هدم القديم، وإذا ما رحنا نهدم شكل القصيدة نهائياً، كما يدعو : الطائشين بلا وعي، فتفقد بذلك الأرض التي نبت فيهـا شعرنا، ويصح ما يدعوه بعض "المعلمين" بالمؤامرة! فتجديد مضمون الشعر الحتمي ليس مؤامرة! وتجديد القالب او تطويره بحيث يلائم المستوى الجديد مع استناده إلى قواعد الشعر القديم (الشكلية) في أكثر الاحيان، ليس مؤامرة أيضاً.

ولكن المؤامرة هي هدم القصيدة القديمه هدماً كاملاً، والفوضوية في العمل الشعري، والركض وراء ـ ليس ما هو أفضل ـ بل مـا هو أسهل يضع شعرنا على باب هوة جحيم اسود!

ولكن المدافعين عن الشعر القديم على حساب الشعر الحديث، يقعون أيضاً في زلات مضحكة.

بعض هؤلاء مصاب بمركب نقص .. اسمه القديم!

والمصيبة هي أن هؤلاء لا يزالون يعيشون، ليس في قالب المتنبي فحسب. بل في تفكيره وعقله أيضاً.

ولهذا. يرفضون كل تجديد وتطوير لهذا الذي أصبح بالنسبة لهم صنماً يقفون أمامه موقف تقديس وعبادة وثنية!

ولكن التجديد العاقل الهادف على قاعدة وأرض كـان ينتصر دائماً ..

في العصر الأندلسي، انتصر التجديد في مضمون الشعر!

في الأندلس .. انتصر التجديد ـ انتصاراً محدوداً في مضمون الشعر.

وانتصاراً كبيراً في شكله!

و في المهجر، انتصر التجديد في المستوى والقالب.

فلماذا لا ينتصر في زمننا؟

البعض يصرخ، الموسيقى! الموسيقى! الموسيقى مفقودة من الشعر الحديث!

وللدفاع عن هذه التهمة، يحملون مجموعة ضخمة من أسخف ما قيل في الشعر الجديد، على أنها نماذج فاشلة تدين الشعر والتجديد!

ولكن هذا الإثبات ـ أقولها بصراحة ـ أسخف من تلك النماذج، ويصل إلى حد من الفشل لم تصله هذه النماذج! و ذلك، لأن المسؤول عن عدم نجاح هذه النماذج، ليس الشعر الحديث ... ولا التجديد، بل الشاعر نفسه!

ثم، هل يعتبر هؤلاء كل ما يكتب على الطريقة الكلاسيكية .. رائع؟

بالطبع .. لا!

ألم يكتب ابو العتاهيه على نفس الأوزان التي كتب عليها عملاق الشعر العربي المتنبي؟

فهل بلغ منزلته؟

هذا أولاً،

وثانياً، ألم يحقق الشعر الحديث انتصارات ليست قليلة على يد عبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة من العراق، وأحمد حجازي وصلاح عبد الصبور من مصر؟!

وبعد، ما هو علاقة الشعر العربي في اسرائيل بهذه القضية، وما هو مدى خطورتها؟

أنا اقول أنها أخطر من الخارج .. أخطر . بكثير!

لماذا؟

لأن شعراءنا يندفعون إلى هذه الطريقة اندفاع العاجزين، وليس المقتنعين بمعنى تجديدها، والمحتاجين لها لاستيعاب أفكارهم التي لا تستقر إلا فيها!

ذلك، لان ثقافة الكثيرين من شعرائنا بلغتهم العربية الأصيلة مؤسفة جداً.

وهذا يعنى أنهم لا يقفون على أرض صلبة. وهذه الظاهرة تبدو باهرة في قصائدهم الرخوة المائعة البناء! فقد وجدوا في هذه الطريقة حائطاً يسندون إليه هياكلهم المفككة. فاتخذوها غاية في حد ذاتها. وهنـا الخطر، خاصة عندما اعتقدوا أن هذا الشعر وُجدَ ليحررهم نهائياً من القيد، وهذا الاعتقاد يخلق مكاناً لخطر غير قليل، فالشعر، كل شعر، كلاسيكياً كان أم حديثاً قيد، ولكن قيداً عن قيد يختلف!

فحذار من الفوضى والإهمال!

الفهرس :